

الدكتور: حسن ضياء الدين أحمد

# وَحْيُ اللَّهِ

حفائفه وخصائصه في الكتاب والسنة  
نقض مزاعم الميراثيين

الدكتور: حسن ضياء الدين عتر

# فتح الله

حفاؤه وخصائمه في الكتاب والسنة  
نقض مزاعم المشرقين



## مباحث الكتاب

الموضوع	صفحة
المقدمة .....	٧
الباب الأول : ( باب تمهيدي ) - الاستشراق .....	١١
الباب الثاني :	
الفصل الأول : سمات الوحي وحقائقه .....	٤٥
الفصل الثاني : خصائص الوحي .....	٦٣
الفصل الثالث : نقض مزاعم المستشرقين في الوحي ....	٨٣
الخاتمة : توصيات ومقترحات .....	١٥٩
المراجع .....	١٦٥



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ  
تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا  
نَهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ  
مُّسْتَقِيمٍ \* صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي  
الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (١)

(صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ)

(١) سورة الشورى : ٥٢ - ٥٣ .



## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذي بعث محمدا رسوله الصادق الأمين ، وأيده بالنور المبين ، وأشهده ذوي الألباب براهين اليقين على أنه خاتم المرسلين . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .

إن إثبات الوحي هو إثبات لنبوة خاتم رسل الله ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، واشتهار للبراهين على صحة دين الاسلام والهيبة مصدره ، وبالتالي على نبوة جميع الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه المجيد ، ومنهم موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام .

لا ريب أن للاستشراق آثارا بليغة في بعض أبناء المسلمين وتُسبباً في انحرافهم ، كما لا تُنكر آثاره القوية في صد الغربيين عن الدخول في الاسلام . ولما كان كشف الشبهات عن الدين من فروض الكفايات فقد رأيت أن أنهض بعبء الرد على أهم وأحدث شبهات المستشرقين في الوحي الى سيد المرسلين فان الايمان بالوحي من أهم أسس العقيدة الاسلامية .

لقد تطورت كثيراً شبهات الاستشراق وأساليبه منذ نشأته حتى عصرنا الحاضر ، فاعتمدت على كتب من أشهر الكتب المعتمدة لدى المستشرقين وأتباعهم وأوسعها انتشاراً . اذ يجب أن ينصب



الرد على الشبهات والتخرصات الحديثة المتداولة في أيامنا هذه ليكون رداً قوياً هاماً ، مُجدياً في نشر الدعوة الاسلامية ، ومُزجاً للعوائق من طريقها . وليكون إغناء للثقافة الاسلامية في اسلوبها المعاصر .

وقد رأيت أن طريقة بعض الكاتبين في ايراد بعض الشبهات والتعقيب عليها باجابات جزئية ليس وراءه كبير جدوى ، فان الصياغة المشوهة الفاسدة التي يحكيها المستشرق متكاملة لا تُجدي في دفع آثارها ردود على جزئيات منها . بل إن أبلغ الرد عليها تقديم الصورة الصحيحة من مصادر وثيقة ببحث علمي مركز واضح ، ثم إتباع ذلك بمناقشة الشبهات ونقض التقلولات ، وقد عمدت الى تطبيق هذا المنهج في دراسة موضوع الوحي الى رسول الله ﷺ .

ولكي يتم النقاش في اطار واضح قدمت - في الباب الأول - بحثاً عن الاستشراق للتعرف على دوافعه وخطته واهدافه واختلال مناهجه في البحث العلمي عامة وقدمت فيه استخلاصاً منهجياً جديداً . لم أقف عليه في كتاب سابق .

ولما كان المبشرون ومعظم المستشرقين يؤمنون بالوحي تارة ؛ أي لدى نسبته إلى أنبيائهم ؛ ويكفرون به تارة أخرى ؛ لدى دعوتهم ليؤمنوا بخاتم المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين ؛ فقد جابهتهم - بتحد كبير - وطالبتهم بتقديم أوصاف وسمات الوحي الصحيحة في أنبيائهم الذين يؤمنون بهم . لنناقشها . ثم نختكم الى صحيحها في إعلان تحقق وحي الله الى رسوله محمد عليه أفضل

الصلاة والسلام . وفي تقديري أنهم لن يستجيبوا لهذا التحدي أبداً .

وقد اشتملت الصورة الصحيحة للوحي التي قدمتها - في الباب الثاني - على إثبات الوحي الى رسول الله ﷺ في مناقشة أهل الكتاب أولاً . وفي مناقشة المشركين والملاحدة وأضرابهم ثانياً . وبرهنتُ على إمكان الوحي عقلاً ووقوعه فعلاً .

كما سردتُ سمات الوحي وخصائصه في الفصل الثاني وكنت بذلك أول من استخلص أهم خصائص الوحي بشكل علمي منهجي . ثم تعرضت الى نقض أهم شبهات المستشرقين في الفصل الثالث من الباب الثاني .

ثم ختمتُ بحثي بتقديم توصيات ومقترحات هامة ، نوهت فيها بالمطالب الضرورية في كتاب السيرة المعاصر . وأبرزت أهمية مضامين الكتاب في فهرس تفصيلي .

ولابد لي أن أعرب عن شكري الجزيل لكافة العلماء الأفاضل الذين أمدوني بتوجيهات نافعة في هذا البحث .

وأسأل الله تعالى من فضله العظيم أن يتقبل مني جهدي ، ويجعل هذا البحث خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به طلاب العلم ورواد الحقيقة . ويجعله ذخراً لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .



## الباب الأول

### [ باب تمهيدي ]

#### الاستشراق

- \* نشأة الاستشراق
- \* دوافع الاستشراق
- \* أوجه النشاط الاستشراقي
- \* خطة الاستشراق
- \* اختلال مناهج البحث الاستشراقي
- \* أهداف المستشرقين



## الاستشراق

انداحت دائرة الاسلام في أرجاء المعمورة حتى بلغت جبال الصين شرقا وحدود فرنسا غربا ، في نحو قرن من الزمان . هيمن الاسلام على العالم كما أخبر رسوله المصطفى ﷺ . فلو نظرت في خارطة العالم القديم لعانيت مصداق خبره ﷺ ، خاصة اذا لاحظت أن قارتي ( أمريكا وأوقيانوسيا ) لم تكونا معروفتين آنئذ . وان بقاع العالم التي لم يدخلها المسلمون لم تكن ذات شأن يومئذ .. والتخلف والجهل ؛ والفقر والمرض ؛ والفوضى والظلم ؛ والضعف والحمول ؛ كانت سمات المجتمعات الانسانية يومئذ ؛ إلا من نَوَّر الله قلوبهم بالاسلام .

إنهر الغرب بتقدم المسلمين العظيم ، فأراد أن يتلافى بعض تخلفه ، فراحت بعثاته تتلقى العلم والنور من الأندلس وصقلية . وهذا في الواقع مطلع الاستشراق - في رأينا - وقد تلقى أبناء الغرب من علماء الاسلام مختلف العلوم ، اذ لم يرضوا عليهم بشيء - على العكس من فعل الغربيين اليوم - فتعلموا الطب والفلسفة والمنطق والرياضيات والفلك .. الخ كما أتاحت لهم فرص ثمينة لمعرفة الاسلام وعلومه من مركزي الاشعاع الاسلام في الغرب ( الأندلس

وصقيلية ) .

وينغ كثيرون بعضهم رهبان ، منهم الراهب الفرنسي « جبريت » وقد انتخب بابا لكنيسة روما سنة (٩٩٩م) وكان تلقى علومه في الأندلس .

وقد توالى البعثات على الأندلس منذ استقر المسلمون فيها . وفي أوائل القرن الخامس الهجري أرسل جورج الثاني ملك إنجلترا ابنة أخيه الأميرة « دويانت » على رأس بعثة من ثمان عشرة فتاة من بنات الأمراء والأعيان الى اشبيلية ، بمرافقة النزيل « سفليك » رئيس موظفي القصر الملكي . وأرسل معه كتابا الى الخليفة هشام الثالث آخر الخلفاء الأمويين بالأندلس ، جاء فيه بعد الديباجة : ( وقد سمعنا عن الرقي العظيم الذي تتمتع بفيضه الصافي معاهد العلم والصناعات في بلادكم العامرة ، فأردنا لأبنائنا اقتباس نماذج هذه الفضائل لتكون بداية حسنة في اقتفاء أثركم ، لنشر أنوار العلم في بلادنا التي يحيط بها الجهل من أركانها الأربعة . وقد أرسلنا ابنة شقيقنا الأميرة « دويانت » على رأس بعثة من بنات الأشراف الانجليز ، لتتشرف بلثم أهداب العرش والتماس العطف ، ولتكون مع زميلاتهن موضع عناية عظمتكم وحماية الحاشية الكريمة وحذب من لدن اللواتي سيتوفرن على تعليمهن ، وقد أرفقت الأميرة الصغيرة بهدية متواضعة لمقامكم الجليل ، أرجو التكرم بقبولها مع التعظيم والحب الخالص . من خادمتكم المطيع ) .

« جورج »

وقد رد الخليفة هشام الثالث على ملك إنجلترا « جورج » برسالة

جاء فيها :

( لقد اطلعت على التماسكم فوافقت بعد استشارة من يعينهم الأمر على طلبكم ، وعليه فانا نعلمكم بأنه سينفق على هذه البعثة من بيت مال المسلمين دلالة على مودتنا لشخصكم الملكي . أما هديتكم فقد تلقيتها بسرور زائد . وبالمقابلة أبعث اليكم بغالي الطنافس الأندلسية وهي من صنع أبنائنا هدية لحضرتكم وفيها المغزى الكافي للتدليل على اتفاقنا ومحبتنا . والسلام . )

« خليفة رسول الله على ديار الأندلس : هشام »

وفي عهد ملوك الطوائف بالأندلس كانت توفد الى معاهد غرناطة واشبيلية وغيرها بعثات من فرنسا وايطاليا والأراضي الواطئة ، لتنهل من الحضارة الاسلامية العربية . وكان طلاب هذه البعثات يعجبون بالحياة الاسلامية وتقاليدها وثقافتها حتى إن بعضهم اعتنق الاسلام وفضل البقاء بالأندلس ولم يعد إلى بلاده<sup>(١)</sup> .

وظل الغرب عالة على علوم المسلمين . ولما نشطت الدراسة فيه كانت كتب العرب هي المصادر العلمية الأصلية في جامعاته . وظلت بعض جامعاته في النمسا تدرس بعض كتب الطب العربية حتى نهاية القرن التاسع عشر .

لقد وجد منذ البداية أفراد منهم درسوا الاسلام واللغة العربية حتى قاموا بترجمة معاني القرآن وبعض الكتب العربية العلمية

---

تاريخ الحضارة الاسلامية - جاد محمد رمضان - ص ١٧٦/١٧٧ .



والأدبية . قال العلامة أبو عبدالله الزنجاني في كتابه « تاريخ القرآن » :

( ربما كانت أول ترجمة للقرآن الى اللغة اللاتينية لغة العلم في أوروبا ، وذلك في سنة ١١٤٣م بقلم « كنت » الذي استعان في عمله ببطرس الطليلي وعالم ثانٍ عربي . فيكون القرآن قد دخل أوروبا عن طريق الأندلس ، وكان الغرض من ترجمته عرضه على « دي كلوني » بقصد الرد عليه . ونجد فيما بعد أن القرآن ترجم ونشر باللاتينية سنة ١٥٠٩م ولكن لم يسمح للقراء أن يقتنوه ويتداولوه ، لأن طبعته لم تكن مصحوبة بالردود . وفي عام ١٥٩٤م أصدر هنكلمان ترجمته وجاءت على الأثر سنة ١٥٩٨م طبعة مراتشي مصحوبة بالردود .. )<sup>(١)</sup> .

غزا الغرب الشرق في حرب صليبية حاقدة ضارية .. ومكثوا في الشرق قرنين من الزمان ، وسيطروا على مواقعه الممتازة وعلى قلب العالم الاسلامي فلسطين .. وخففت الأصوات وتلاشت المقاومة وطاب المقام للصليبيين في بلاد الاسلام ، يأخذون من خيراته وينهبون أمواله ونهلون من علومه ، ويقتبسون أصول صناعاته وفنونه المتقدمة في جميع جوانب الحياة ، ويرسلون الى بلادهم من كتبه المخطوطة وتراثه العلمي الثمين بغير حساب ، وتمكنت الصليبية من أعناق المسلمين وديارهم .. انقطع الأمل وبطل العمل .. ودخل في روع الصليبيين وعامة المسلمين أن الأمر انتهى ، وأن على

(١) نقلا عن مناهل العرفان ج ٢ ص ٤ .

الاسلام السلام ، لا تقوم له قائمة الى الأبد .. لكن أناسا عرفوا أن لا ملجأ إلا إلى الله وحده .. وكان في ذروتهم عماد الدين ( - ٥٤١هـ ) ثم نور الدين الشهيد ( - ٥٦٩هـ ) ثم صلاح الدين الأيوبي ( - ٥٨٩هـ ) فجاهدوا في الله حق جهاده فانحسر ظلام الصليبية عن الشرق . وأشرقت عليه شمس الاسلام من جديد .. أدرك الغرب يقينا أن التغلب على المسلمين والتحكم فيهم عسكريا حدث قصير العمر . فانصرفت همم مفكرهم وعلمائهم إلى الغزو الفكري . وكان العلم في أوروبا آنئذ حكرا على الكنيسة ورجالها . فنشطت الدراسات الاستشرافية حتى عصرنا هذا وصحبها السطو على التراث الاسلامي ومؤلفات المسلمين المخطوطة بالسرقة والرشوة .. فبلغت نواذر المخطوطات العربية في مختلف العلوم في مكتبات أوروبا مائتين وخمسين ألف مجلد في مطلع القرن التاسع عشر ، ولا تزال في ازدياد حتى أيامنا هذه .

ولا نعرف على وجه التحديد أول غربي اتجه الى دراسة العلوم الاسلامية ، ولا تاريخ البدء بذلك . لكننا نعلم أن الاستعمار الغربي للشرق ، قد أخرج الاستشراق من الاقتصار على دراسة علوم الاسلام ولغته وحضارته إلى دراسة أحوال الشرق دراسة كاملة ، بدياناته وعاداته وحضارته وتقاليده وجغرافيته واقتصاده ولغاته .. لكنهم أولوا علوم الاسلام العناية العظمى لأن نهضته - في توهمهم - أعظم رهبة ، وترنحه أكبر غنمة !! ؟

فالاستشراق هو دراسات غير الشرقيين لحضارات الشرق وأديانه ولغاته وتاريخه وعلومه واتجاهاته النفسية وأحواله

الاجتماعية ، وخاصة حضارة الاسلام وأحوال الأمة الاسلامية في مختلف العصور . وللقائمين بالاستشراق دوافع بعثتهم على السير فيه ، وجعلت لهم أهدافا معينة ، فسلكوا لتحقيقها أساليب لم يعرفها تاريخ البحث العلمي اطلاقا ، ولم يعول عليها أحد من علماء الغرب في غير الدراسات الاستشراقية !

ونحن نميز في المستشرقين أناسا أصحاب حياد وانصاف ، وهؤلاء لهم كتابات معتبرة ، وفيهم مسلمون ، ومعظمهم مغمور غير معروف ، لا يتلقون شيئا من مساعدات المسلمين أو غيرهم . بينما تجد المتحاملين من المستشرقين يلقون عناية حكومية وكَنسِيَّة ودعما ماديا ومعنويا من جهات متعددة ... !! منها أجهزة المخابرات في بلادهم ؟؟؟

وقد دأبت الكتابات الاسلامية المعاصرة على اطلاق كلمتي « المستشرقين والاستشراق » على المفرضين منهم ، وعلى اتجاهاتهم المنحرفة في الأبحاث الاسلامية . ومن الطبيعي أن نورد نفس الاطلاق عليهم ، ولسنا نقصد إلا الصنف المنحرف منهم . هذه ملاحظة هامة في سائر كلامنا . نسأل الله تعالى أن يهدي قلوب العباد اليه .

### دوافع الاستشراق

١ - الدافع الديني : ظل العلم في أوروبا حكراً على الكنيسة ورجالها حتى عصر النهضة الأوروبية . فنشأ الاستشراق برجال الكهنوت بتوجيه من الكنيسة . وقد دفعتهم العصبية الكنسية الى

تشويه حقائق الاسلام وقلب محاسنه مساويي ، فدعموا بذلك سلطانهم الديني على شعوبهم ، وأوهموهم أن الاسلام دين لصوصية وسلب ونهب وسفك دماء وزنى وإدمان خمر وقمار وشهوات آثمة . فأعطوا صورة تافهة شنيعة عن الاسلام ، لا تمت اليه بصلة من قريب ولا بعيد .. دفعهم إلى هذا إنتشار اليقظة الفكرية في شعوب أوروبا وزهدهم في أفكار الكنيسة ونفورهم من تحاريفها وإعراضهم عن الديانة المسيحية . فصار مرتقبا دخولهم في الاسلام لو عرفوا حقائقه مما حدا برجال الكنيسة الى اختلاق هذه الصورة الشوهاء عن الاسلام وإشاعتها في شعوب الغرب لاقناعهم أن الاسلام دين لا يستحق الاعتناق .

استمرت الدراسات الاستشرافية على هذه الشاكلة حتى مطلع القرن العشرين تقريبا . فقد كثرت اتصالات الغرب بالشرق ، وأصبح كثير من الأوربيين يطلعون بأنفسهم على حقائق الاسلام وأخلاق نبي الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام وعلى معان حقيقة من القرآن العظيم كتاب رب العالمين .. وهكذا تلاشت الثقة بكتابات الاستشراق القديمة ، مما حدا برجاله أن يغيروا منهم فظهر كتاب « الأبطال » لكارليل . ترجم فيه لعدد كبير من الأبطال في نظره ، وأدرج جانبا مشرقا من سيرة محمد ﷺ على أنه بطل عظيم لا أنه رسول كريم . ودخلت التفلسفات والتفسيرات المادية في عرض المستشرقين للاسلام . وهذا ما عبر عنه المستشرق السير هاملتون جب بقوله « لقد تغير إهتمام العلماء وموقفهم كثيرا خلال نصف قرن تقريبا ، منذ مؤلفات كايثاني وبهل عن حياة محمد » .

ولكن الذي يهمننا أن نتبين نخوف علماء الغرب على شعوبهم من اعتناق دين الاسلام ، وفزعهم من جاذبيته القوية ، حتى حملهم ذلك على تغيير منهجهم بعد افتضاح التزييف والتزوير الذي قامت عليه دراساتهم عدة قرون . وأضححت هذه الدراسات تنقسم الى مدارس بحسب أغراض ودوافع ممولياها والقائمين عليها . وتبدو مدارسهم كما يلي :

١ - المدرسة النصرانية ، ولها نزعتان : الكاثوليكية والبروتستانتية .

٢ - المدرسة اليهودية .

٣ - المدرسة الاحادية العامة .

٤ - المدرسة الاحادية الشيوعية .

٢ - الدافع الاستعماري : لم تنقطع أطماع الغرب في الشرق بعد الهزيمة الكبرى في الحروب الصليبية . فعكف علماؤه على دراسة الشرق ، عقائد وعادات وأخلاقاً وثروات ولغات وتاريخاً ، ودراسة خصائص الشعوب وأحوالها وجغرافية الشرق ومزاياها والمواقع الهامة فيه . فعرفوا بواعث الشرق الى القوة والمجد ومواقع الخير والانتاج والعبقرية والتفوق ومواقع الجذب وهزال الامكانات والمواهب . فلما تمكنوا عسكرياً من الشرق وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى أفادوا من خبراتهم في تحطيم قوى الشرق وأضعافه روحياً ومعنوياً واستلاب كنوزه العلمية والمادية ، وعرفوا الفئات التي يمكن أن يتخذوا من أهلها صنائع لهم وعملاء وحاولوا إفقاد الشرق ثقته بنفسه ومبادئه وتراثه وحضارته وتقاليده وآدابه وأخلاقه فأمكنهم أن يخرجوا

ضعاف النفوس وجهلاء الناس من دين الله أفواجا أفواجا ، فتم ابتزاز خير الشرق ماديا وتخريب شعوبه دينيا وتمزيق وحدته وشمله اجتماعيا . فأيقظوا الفتن الطائفية من درزية وعلوية .. والنصرة الصليبية في نصارى الشرق ، وأحيوا الأفكار القومية من عربية وكردية وفارسية وتركية وفرعونية .. فتمت لهم الهيمنة على الشرق بتطبيق مبدئهم الأساسي : ( قَرِّقْ نَسْدُ ) .

٣ - الدافع السياسي : قامت دول الغرب اثناء الاستعمار وبعده بالاستفادة من دراسات الاستشراق . فجعلت في سفاراتها وقنصلياتها أناسا على تضلع بالدراسات الشرقية . فأدوا بذلك أدواراً كثيرة منها إقتناء عملاء لدوهم على الصعيد السياسي والفكري والتربوي والاعلامي في الاذاعة والصحافة .. فكثرت الناعقون المتحذلقون بتفلسفات جوفاء فاضحة البطلان ، لا تخدم سوى سياسة السادة الممولين . ومن ذلك إثارة الفتن بين السكان .. وطبخ الانقلابات العسكرية لصالح سياسة دولة من دوهم .. وما أكثر الانقلابات المخزية التي قامت بسبب تنافس الدول الغربية في بسط نفوذها .. ! وما أكثر الفتن .. وما أكثر الدماء .. !!

٤ - الدافع الاقتصادي : عرف الغرب الموارد الطبيعية في الشرق والثروات الأرضية الباطنية ، كما عرف الأسواق التجارية والصناعات المحلية .. فاستغلوا ذلك كله ، وحطموا الصناعات المحلية .. وعرقلوا إنشاء المصانع الحيوية الحديثة بالضغط السياسي أحيانا وبالاتقلابات أحيانا أخرى فصار الشرق سوقا استهلاكية

لانتاج الصناعات الآلية الغزيرة الانتاج ، يعطي المسلمون للغرب  
المواد الخام بأجنس الأثمان ثم يستوردون منه بعضها مصنوعة  
بأفحش الأسعار .. !!

٥ - الدافع العلمي : ولا ننكر أن فئة من المستشرقين قليلة  
العدد عكف رجالها على دراسة الاسلام بدافع علمي سليم . فجاء  
نتاجهم العلمي أقل أخطاء من نتاج غيرهم ، وسبب أخطائهم  
جهلهم بالعربية وتأثرهم بالمفاهيم الغربية ، لكن جاء انتاجهم بريثا  
من الخبث والدرس والمكر والتحريف ، وقد هدى الله قلوب نفر  
منهم فآمنوا بالقرآن كتاب الله تعالى ومحمد رسول الله ﷺ . ولم  
تتسع دائرة هؤلاء فإن أبحاثهم لم يرحب بها الساسة ولا الكنيسة في  
الغرب والشرق ، فلم يلقوا تمويلاً ولا دعماً ، ولا يدر عليهم  
انتاجهم كسباً مجدياً . ومن هؤلاء « الفونس اتيس دينيه » الملقب  
بناصر الدين . وهو فرنسي ولد في باريس سنة ١٨٦١ . وكان فنانا  
مرهف الحس ، تفحص الديانة المسيحية والرسوم الكنيسة فلم  
تشبع تطلعه العقلي والعلمي ، فاطلع على الاسلام وأعلن اعتناقه  
إياه . ثم أصدر كتباً فيه ، منها : « أشعة خاصة بنور الاسلام »  
و « محمد رسول الله » <sup>(١)</sup> و « الحج الى بيت الله الحرام » . ومن  
المستشرقين المنصفين أيضاً « موريس بوكاي » وقد ألف كتاباً عن  
القرآن والعلم الحديث بالفرنسية ، لكنه ترجم الى العربية بعنوان

---

(١) وقد ترجمه الى العربية الدكتور عبد الحليم محمود ، والدكتور محمد عبد الحليم محمود .  
وقد نشرته دار المعارف المصرية مع مقدمة نافعة « للدكتور عبد الحليم محمود ، شيخ  
الأزهر سابقاً رحمة الله عليه » .

« دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة »<sup>(١)</sup> كما ترجمه مؤلفه إلى الانكليزية وتم نشره بالانكليزية . ومنهم أيضا السيدة الألمانية « زغريد هونكه » صاحبة كتاب « شمس الله تسطع على الغرب » لكن المشرف على نشره مسيحي فنشر ترجمته بعنوان « شمس العرب تسطع على الغرب »<sup>(٢)</sup> .

إن هؤلاء وغيرهم قد تلقى المسلمون إنتاجهم - على ما فيه من أخطاء عفوية - بالترحاب والاقبال على مطالعتها ، ووقفوا منهم موقف التقدير والاحترام لأنهم قاموا فعلا بأبحاثهم بتفكير حيادي موضوعي يبغي الحقيقة وامتطوا صهوة الجراءة فجهروا بالحق الذي توصلوا إليه دون مجاملة ولا تملق . ومن هنا فإن الكتاب المسلمين الغيورين على دينهم يشيرون الى فضل هؤلاء ، ولا يقفون من أخطائهم موقف المهاجم المندد . وكل تنديد عام بالمستشرقين إنما يراد به تلك المدارس الاستشراقية المغرضة الجانية على الحقيقة . أما أخطاء المنصفين من المستشرقين فقد قوبلت بردود هادئة فيها التقدير والود الى جانب التصحيح . ومن ذلك ما قدمه الاستاذ العلامة المحامي الكبير محمد السبسي رحمه الله في رده على أخطاء كتاب « شمس العرب تسطع على الغرب » للمستشركة « زغريد هونكه » وقد وزعت نشراته مجاما على العلماء والمتقنين كما نشرته بعض المجلات الاسلامية<sup>(٣)</sup> .

(١) نشرته دار المعارف المصرية

(٢) نشر في لبنان .

(٣) قارن دوافع المستشرقين مع كتاب لجنة المكر الثلاثة ص ٩١-٩٤



## أوجه النشاط الاستشراقي

١ - يباشر المستشرقون بأنفسهم ممارسة نشاطات في العالم الاسلامي . إذ يؤازرون المبشرين في أعمالهم التبشيرية ويمدونهم بالخبرات والمعالجات لكثير من المسائل والمواقف . كما يباشرون نشاطهم في الجامعات العربية والاسلامية بالقاء محاضرات . مفعمة بالتغرض والتلبيس وتشويه الحقائق . وان أكثرهم فتكا بالاسلام وتضييلا للمسلمين الذين لهم تلامذة أوفياء لفكرهم في جامعاتنا . يستدعونهم للمحاضرة فيها . وينال التلامذة أجورهم دعما ماديا أو معنويا يوصلهم إلى الرتب العالية والمواقع الحساسة في الدول العربية والاسلامية . وقد بدأ نشاطهم الجامعي في مطلع الاستعمار الحديث للبلاد الاسلامية . ونشاطهم في جامعات مصر ولبنان وغيرهما لا يحتاج إلى تعريف !

٢ - وبث المستشرقون سمومهم في مقالات نشرت في مجلات خاصة بالابحاث الاستشراقية . ولم يكفهم هذا حتى نفثوا سمومهم في المجلات والصحف المحلية المأجورة في أرجاء العالم الاسلامي . وهكذا غزى المسلمون فكريا في عقر دارهم . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

٣ - قام المستشرقون بتأليف الكتب في جميع العلوم الاسلامية . كما حققوا ونشروا بعض الكتب المخطوطة القديمة ؛ لكن بمعاونة علماء مسلمين لم تذكر اسمائهم في معظم الأحيان . وانصب معظم اهتمامهم على علوم القرآن والسنة لأنها المصدران الأساسيان للدين الاسلامي . ثم على سيرة الرسول الكريم ﷺ ..

للطعن في نبوته من خلال عرض حوادث السيرة بأسلوب من الكذب والتحريف .. ولكن يأبى الله إلا أن يخق الحق ويبطل الباطل وأن يتم نوره ولو كره الكافرون !!

٤ - عمد كبار المستشرقين إلى تأليف الموسوعات الاسلامية وإصدارها بعدة لغات ، وتمت ترجمة بعضها إلى العربية .. وللموسوعة جدوى علمية ميسورة للمثقف العام . بتبسيط لا نجد في معظم التراث الاسلامي . مما جعلها موضع أقبال أبناء المسلمين ايثارا للراحة من حل معضلات الكتب العلمية العميقة . وعرض المستشرقون بأساليبهم المعهودة ودسوا السم في الدسم وحرفوا وغيروا الكلم عن بعض مواضعه وتجاهلوا حقائق باهرة كثيرة غزيرة فلم يوردوها .. ؟!!

٥ - عقد المستشرقون مؤتمرات للمدارسة وتبادل الخبرات فيما يحقق أهدافهم ، ولا زالوا يعقدونها باستمرار ، وكان أولها في باريس سنة ١٨٧٣ م .

٦ - إن ذروة النشاط الاستشراقي إنشاء كليات وأقسام للدراسات الاسلامية في جامعات الغرب ومنح الشهادات العالية ( الماجستير والدكتوراه ) لطلاب شعوب العالم الاسلامي في العلوم الاسلامية . فاستغل المستشرقون بذلك تلهف الشرق الى الشهادات والألقاب <sup>(١)</sup> ، فصيروا أنفسهم مصدرا وثيقا للعلوم الاسلامية ، وأشعروا بعض المسلمين بهذا حتى في علوم دينهم ، ليفقدوهم الثقة

(١) أنظر أجنحة المكر الثلاثة ص ٨٧/٨٨ و ٩٨/٩٩ .

بأنفسهم ، فيتعلقوا بتعلم العلوم حتى علوم دينهم من عدوهم .. !! ؟ لقد حقق هذا اللون من النشاط غاية ما تصبو اليه أنفس المتحاملين من المستشرقين . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

### خطة الاستشراق

إن معرفة دوافع الاستشراق ومناهجه وأهدافه وخططه إنما يكون بتقصي الباحث كتابات المستشرقين وأعمالهم ومقرراتهم وتصريحاتهم ومن ملاحظات واقعية .

ونستخلص المخطط الاجمالي للاستشراق المغرض فيما يلي :

١ - الهجوم على الاسلام واحداث جلبة عالية حوله بتقديم ركام ضخمة من الطاعن والشبهات ، ليحولوا بذلك دون انتشاره في غير المسلمين وخاصة في الغرب ، وليقعدوا المسلمين عن التمسك به نظاما سياسيا واجتماعيا وفرديا ، أو يخرجوهم منه ويتسببوا في دخولهم النصرانية بالتعاون مع حركات التبشير المسيحية . وعلى كل فانهم إذا أخفقوا في هذا فان غاية جليلة تتحقق لديهم وهي تشكيك شباب الاسلام بدينهم وإخراجهم عنه فليسوا بشكوكهم مسلمين ولا مسيحيين . وقد صرح المبشرون برضاهم التام عن تحقق ذلك الغرض الخبيث في بعض مؤتمراتهم<sup>(١)</sup> .

(١) طالع خطبة رئيس المبشرين في الشرق : القسيس الدكتور « صموئيل زويمر » التي ألقاها في مؤتمر القدس التبشيري (١٩٣٥م) وذلك في كتاب : أجنحة المكر الثلاثة ص ٦٠/٥٨ .

٢ - انصبت مطاعنهم وشبهاتهم بتركيز قوي على القرآن والسنة لأنها المصدران الأساسيان للإسلام عقيدة وشرعة . كما انصبت بنفس التركيز على سيرة النبي الكريم ﷺ ، ولكن ليس للدراسة أحداثها واحقاق الحق فيها ، إنما من وجهة اعتقادية بجملة .. فما يوردون الحوادث إلا لتوجيه الطعن في نبوته ﷺ من خلال تفسيراتهم أو تحريفاتهم .

فان المسلم اذا شك في نبوة رسول الله ﷺ خسر لهفته إلى التمسك بالدين ، وغدا مذنباً حائراً تائهاً .. !!

وكذا أرادوا من الهجوم على القرآن بطعنهم في ثبوت نصه وفي معانيه .. كما طعنوا في ثبوت السنة النبوية ومعانيها .. وذلك ليفقد المسلم الثقة بها ويخرج من دينه ، فيهون شأن المسلم وأثره ، ويخوض في لجج الضياع ويسلس مقادته لكل ناعق عمل للغرب .. وهذا غاية مساعي الاستشراق المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالتبشير والاستعمار .  
**ومن مخطئهم تبديد رجولة المسلمين بفتح أبواب الغواية والفساد الجنسي ..** وكان لهذا الغرض الخسيس مدخل حساس خطير وهو حقوق المرأة المسلمة وحجابتها .. فصدرت الأبحاث منهم ومن عملائهم عن تحرير المرأة واختلاطها بالرجال وعن تاريخ الحجاب وزعمهم عدم ثبوته في القرآن ، وأنه من تقاليد العباسيين وتكلموا عما أسموه نظام الحريم .. !! وتعمدوا إثارة الضجة العالية بوسائل الاعلام حول ذلك في فترات متقاربة ، ولا زالوا على نهجهم ذاك .. !!

**وهاجموا التشريع الاسلامي ..** وقد وجدوا عظمة مزاياه

فرعموه مقتبسا عن الرومان ..

وفي ضميم مخططهم شن الغارة على التاريخ الاسلامي بتأويل صفحاته البيضاء تأويلا سخيلاً ، ليذهب بروعتها من ذهن القاري الساذج . ولا يعرضون من تلك الصفحات الناصعات إلا القدر الوجيز ، ثم يفيضون في تفاصيل الفتن .. ويصبون الدسائس والتهاويل فيها بغير مكيال .. !!

٣ - التوسع في الحديث عن كل ما يتصل بالشرق في حاضره وتاريخه بما يتنافى مع الاسلام عقيدة أو شريعة ، وخاصة إذا كان يؤدي إلى تمزيق وحدة الأمة الاسلامية وانقسامها . فجرى التوسع في الحديث عن الجاهلية مع اكبار شأنها وقلب كثير من مساوئها مزايا وفضائل .. للإيهام بأن الاسلام قبس منها ، وأحياناً أخرى لانعاش فكرة القومية العربية ومحاولة اختراع مرتكز فكري وتاريخي لها . كما ترى البحث المفصل عن الأقليات الجنسية والدينية .. واثارة مبدأ القومية وما يتضمنه من مخاطر ونعرات كالقومية العربية والفرعونية .. كما عنوا باثارة النزعات العرقية القومية عنوا أيضاً بالأقليات والعصبيات والنعرات الأخرى .. مثل عنايتهم بالفرق الباطنية وأقلياتها .. وعنوا بالخلافات الدينية المذهبية .. الخ .

وتم لذلك كله الدعم القوي والدعاية الواسعة ، لتوطيد ما يخالف الاسلام من أفكار ومعتقدات ومبادئ وقيم وأخلاق وعنصريات ونعرات .. لتكون شوكة مقلقة في جنب الاسلام ، وعائقاً دون انتشاره وتشبث أبنائه بتطبيقه . وهذا المخطط يخدم

الاستعمار ويتلاقى مع مخططة في نشر ما يحارب الاسلام من أفكار ونظم كالقومية والاشتراكية والوجودية .. لتتآزر معاول التخريب في هدم بنيان الاسلام . ﴿ يريدون ليطلقوا نور الله بأفواههم والله مُنمَّ نوره ولو كره الكافرون ﴾<sup>(١)</sup> .

### اختلال مناهج البحث الاستشراقي

وتحديد مناهج المستشرقين في البحث غير ممكن إلا باستخلاصه من مطالعات طويلة لكتاباتهم . فإنهم لم يحددوا لأنفسهم منهجا نناقشهم فيه أو نقاضيهم اليه ، فلا تجدهم أعلنوا عن منهج عام في البحث العلمي وطبقوه ولا عن منهج خاص بعلم من العلوم !! لكننا نتيجة لمطالعاتنا تأليفهم ومطالعات من سبقنا من أهل العلم ؛ نجد للمستشرقين منهجا خاصا في كل علم من العلوم .. ففي الدراسات القرآنية لهم منهج مشترك بينهم لا يزال قدوتهم في تطبيقه أستاذهم اليهودي «جولد تسهر» ولسوف نكشف عن استخلاصنا اياه في كتاب « الأحرف السبعة في القرآن » الذي ندعو الله أن ييسر نشره قريبا . وتقدم شقيقنا العلامة المحدث الدكتور نور الدين عتر بنقد منهج المستشرقين في علوم الحديث وكشف عن اختلال منهجهم علميا من عدة وجوه ، وذلك في كتابه القيم « منهج النقد في علوم الحديث »<sup>(٢)</sup> كما استخلص أستاذنا العلامة الدكتور مصطفى السباعي جوانب من منهج المستشرقين ومتابعيهم في

(١) سورة الصف ٨ .

(٢) نجد ذلك في ص ٤٤٥ وما بعدها وفي مواطن أخرى .

الدراسات الحديثة في كتابه القيم « السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي » (١) .

إنه لا يكاد يخلو كلام مستشرق من الزعم بأنه يلتزم البحث العلمي الموضوعي والحياد فيه .. أو أنه رجل مؤرخ . يبغى الحقيقة لوجه التاريخ .. (كذا) !! أو أنه رجل متدين موحد يدعو إلى وحدة الأديان وتعاونها .. !! ولا تجد شعاراتهم هذه إلا أحابيل الأباطيل !!

لكنك تجد بصورة عامة منهج المستشرقين المغرضين قد امتاز عن مناهج البحث العلمي المعقولة المقبولة بما يلي :

١ - وضع النصوص في غير مواضعها ، وتحميلها ما لا تطبيقه ألفاظها ولا تدل عليه معانيها .

٢ - تحريف النصوص الاسلامية ، كما فعل المستشرق اليهودي « جولد تسهر » في زعمه أن أحاديث قراءة القرآن على سبعة أحرف هي من قرارات عمر بن الخطاب .

٣ - اعتمادهم أقوالاً باطلة ردها علماء الاسلام بدلائل علمية حاسمة ؛ وتجاهلهم تلك الدلائل !! بل ينسبون لها - أحياناً - إلى العلماء الذين ردها على أنها آراءهم المعتمدة « وقد فعل ذلك جولد تسهر » .

٤ - اقتطاع فقرة من نص علمي للاستدلال به على غرض خبيث ؛ ينقضه النص لو تم إيرادها كاملاً !!

---

(١) أنظر ص ٤٤/١٢ ومواطن أخرى .

٥ - اغفال الحقائق التي تخالف استنتاجاتهم وتدحضها ، على الرغم من اطلاعهم الأكيد عليها ، بدلالة قرائن كثيرة في نقي البحث الذي يقدمون فيه تلك الاستنتاجات .

٦ - تعمد اساءة فهم النصوص وتوجيهها إلى غير دلالاتها والمغالطة فيها وفي المناقشات العلمية . أفاد ذلك الدكتور فؤاد سزكين في نقده « جولد تسهر » .

٧ - تابع المستشرقون المشركين الجاهلين في بعض آرائهم عن الوحي والقرآن والمعجزات .. كما تابعوا كفرة الباطنية وزنادقة الجوس واليهود والنصارى في نقولات عن جمع القرآن والأحرف السبعة .. !!

٨ - تحريف دلالات الوقائع التاريخية والانحراف في تحليلها ، ويتم لهم ذلك أحيانا بتحكيم مفاهيم البيئة الغربية - على الرغم من فسادها - في تفسير النصوص والوقائع التاريخية ، ومن ذلك تحليل روائع الفتح الاسلامي المجيد ومزاياه ببواعث ورغبات « خيالية » مماثلة للغزوات الاستعمارية الغربية . وما أكثر ما يقتفون ذلك بتفسيرهم المادي السمج لمعظم مزايا الاسلام ودلائله وبراهين عظمته وسيرة نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

٩ - إيراد مقدمات جزئية ضعيفة ثم ابتناء نتائج ضخمة فضفاضة لا تتناسب مع تلك المقدمات ولا تنتج منها . وربما يدخل في هذا اطلاقهم الأحكام العامة بسبب بعض الحوادث الفردية في المجتمع الاسلامي . ويدخل فيه محاولتهم ابتناء نتائج حتمية على مقدمات محتملة توها ولا دليل على حصولها أصلا ، كما سترى في



مزاعمهم عن الوحي .

١٠ - انهم يقولون في توالي فهم على مصادر ليست في مستوى البحث العلمي ، انما هي كتب تنذر وتفكه أو تذوق أد. بي مثل كتاب الأغاني لأ. بي الفرج الأصفهاني أو كتاب الحيوان للدميري .. الخ . وربما يكون مؤلف بعض هذا النوع من الكتب مبتدعا تحمله بدعته على الطعن في أئمة الاسلام ، فيفترض المستشرقون كلامه ويتخذونه عمدة في أبحاثهم وحجة - دون دليل - على أن آراءهم مصيبة في البحث العلمي !! (١)

### أهداف المستشرقين

ومن مطالعة آراء المستشرقين وأعمالهم أقدم هذه المحاولة في تقديم أهم أهدافهم :

١ - منع انتشار الاسلام في أوروبا وغيرها ، حفاظا على سلطان الكنيسة ومغانمها .. ويروي أعداء الاسلام من المستشرقين اليهود والنصارى والملاحدة غليلهم بصد الناس عن الاسلام . والجميع على خوف أن يدركهم المد الحضاري الاسلامي في بلادهم ويغلبهم على أمرهم بايمان مواطنيهم به !! لذا تراهم في أبحاثهم كما قال الكونت هنري دي كاستري « ما كانوا يقصدون الحقائق التاريخية في أناشيدهم بل حفظ روح البغضاء في نفوس قومهم » (٢)

(١) هذا مجمل المآخذ وكثير من تفاصيلها مع دلائلها في كتاب « منهج النقد في علوم الحديث » ص ٤٣٧-٤٥٥ ومواضع أخرى ، وفي كتابنا « الأحرف السبعة في القرآن ومترلة القراءات منها » .

(٢) أنظر كتاب : محمد رسول الله - إيتين دينيه - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٥

٢ - تحويل المسلمين عن دينهم ، وإشاعة البلبلة الاعتقادية والفكرية في صفوفهم .. لتصير بلادهم لقمة سائغة للغرب ، وبصير المسلمون أتباعاً له خاضعين لسلطانه . وأقل مطمع للغربيين أن تعينهم دراسات الاستشراق على إضعاف العالم الإسلامي بحيث لا يقدر أن يمنع عنهم المواد الخام كالمعادن والطاقة والمواد الزراعية .. مما يحتاجه الغرب حاجة ماسة .

وبلتي الهدف الديني مع الهدف الاستعماري في الدراسات الاستشراقية في نقاط كثيرة .. منها اعتقاد النصارى في الغرب بعودة المسيح إلى فلسطين .. فتمزيق الإسلام وطحن المسلمين ييسر له مهمته في نظر الدهماء عندهم . وهذا من عوامل تأييد الشعوب الغربية لسياسة إسرائيل الاستعمارية العدوانية !!

٣ - اقتباس أفكار إيمانية من الإسلام لتثبيت أقدام الكنيسة في بلادها بفكر ديني معقول . فقد نفر الأوروبيون وغيرهم من المنطق التافه المنافي للعلم الذي تدعوه به الكنيسة إلى المسيحية . فدأبت الكنيسة على إيراد أفكارها الإيمانية بدلائل معقولة ، قللت فيها من الاعتماد على صرف نظر المناقشين بأن المسألة المطروحة من أسرار الكنيسة . فأضحت إجابات رجال الدين النصارى اليوم تنسف مفاهيم كنسية قديمة كثيرة .. وذلك في مسائل القضاء والقدر كلزوم التداوي من الأمراض .. واختيار الإنسان في أعماله الإرادية .. وفي مسائل الإيمان عامة كالإيمان بوحدة الكون ووحدة نظامه في الأرض والأجرام السماوية<sup>(١)</sup> . وسلك رجال الكنيسة في إيراد

(١) انظر شمس العرب تسطع على الغرب - زيفريد هونكه ص ٢١٥ ومواطن أخرى .

الدلائل العقلية على الايمان بالله كثيرا من مسالك علماء الاسلام المتقدمين الواردة في الكتاب والسنة وكتب علم الكلام . ويتعرف الباحث على ذلك بالدراسة المقارنة .

وهذا لا يعني أن الفكر الكنسي الغربي قد تخلص من جميع آفاته بل إنه لا يزال يعول على ما نسميه : العقيدة الاحتياطية ، وعقيدتهم الاحتياطية هذه تلخص في زعمهم : بأن العقيدة الدينية قضايا فوق العقل ، فالتسليم بها واجب ومناقشتها بالدلائل محظورة . وذلك تلخصا من نقاش عامة النصارى للأسس والعقائد الكنسية المنافية للعقل والعلم كالتثليث ونحوه .

٤ - يؤدي الاستشراق خدمات جليلة للاستعمار ، فانه بغير شك مصدر هام من مصادر الغزو الفكري . لقد مكّن الاستشراق الغرب من اتخاذ صنائع وعملاء في البلاد الاسلامية ، بواسطة الجامعات والمدارس التي إفتتحتها دول الغرب في الشرق وأشرف على توجيهها مستشرقون ومبشرون . ولم يكفهم ذلك حتى افتتحوأ أقساما للدراسات الاسلامية والشرقية في جامعاتهم في الغرب .. وحفوا بالمغريات انتساب الشرقيين عامة والمسلمين خاصة اليها ، وراحوا يمنحون الشهادات العالية « الماجستير والدكتوراه » ووجد جنون الشرق بالشهادات مرتعا في الغرب يرتمي اليه .. وعرف الغربيون ذلك فأجادوا استغلاله .. فأفسدوا عقائد ونفوس وأخلاق شباب مسلمين وغير مسلمين ، وأوثقوا عقول كثير منهم بعجلة الغرب فلا يقولون إلا ما يرضي سادتهم وأساتذتهم هناك .. ! أما ما يروي من استغلال الطلاب المسلمين في الغرب من ناحيه

حاجتهم المالية ، أو إيقاعهم فريسة الشهوة الجنسية واحتفاظ بعض الجهات الرسمية بصور وأفلام لهم عن مزاولتهم الفواحش .. واتخاذ ذلك وسيلة استدلال لهم لدى عودتهم إلى بلادهم بتخويفهم من نشرها وفضحهم في بيئات الشرق الإسلامية ، ولاستخدامهم للاغراض الاستعمارية .. الخ ، فانا سندع الآن الحديث عن هذا ، فلسنا بصدد التحقيق فيه .

٥ - جعل الدراسات الاستشرافية مصدرا لتعليم الاسلام للمسلمين أنفسهم ومصدرا للدراسات عن الشرق عامة . حتى صارت دراسة تاريخه والتاريخ الاسلامي والعلوم الاسلامية كلها ، وحتى دراسة اللغة العربية وفقهها وآدابها ولهجاتها .. صارت دراسة ذلك كله متوافرة في جامعات الغرب على طريقة الاستشراق وفي هذا حمل للشرق على إكبار شأن الغرب وتعظيم حضارته وتمكين سلطانه في الشرق عقديا وفكريا وتشريعيا وأخلاقيا واجتماعيا . ويؤدي بالتالي الى افقاد الشرق الثقة بنفسه وتوريطة في احتقار ذاته وأمته ، حتى فت في عضد هذه الأمة بغضها الأهل وحب الغريباء ، على حد قول الشاعر .

والعجب كل العجب من انبهار بعض المسلمين بدراسات المستشرقين وتولييتهم الثقة الكاملة في أبحاثهم ، لتوهمهم إنشاءها على الموضوعية العلمية والحياد والانصاف في البحث ابتغاء الحقيقة .. !! لقد غفل هؤلاء المخدوعون أن اليهود والنصارى - ومعظم المستشرقين منهم - قد حرفوا دينهم وعبثوا به وكتبوا منه

وأضافوا اليه ما شاءت لهم أهواؤهم<sup>(١)</sup> فلم يكونوا في لحظة من لحظات تاريخهم أمناء عليه !! فكيف يغدون أمناء على دين خصومهم ؟! وهذا الدين الاسلامي هو الذي يخافون امتداد سلطانه الى بلادهم ! ولولاه ما قام لهم في تاريخ الشرق خصم أبدا ولا طرق أبواب أوربا جيش شرقي فاتح اطلاقا !! ؟

لكن الطلاب النابهين عادوا من جامعات الغرب وأكدوا أنهم لم يستفيدوا علما اسلاميا من أساتذة الاستشراق ، انما عولوا على جهودهم وتكوينهم العلمي السابق في بلادهم . لكنهم أثبتوا في الغرب اللغة الأجنبية ، وعرفوا نوايا القوم وأساليبهم عن كتب نحو اسلامهم وأقوامهم على وجه التأكيد !! واطلعوا على أقوالهم وأعمالهم وعلى وصاياهم لأقوامهم في حرب الاسلام - مما لا ينشر عالميا ولا يصلنا الى الشرق - وأكدوا أن بعض هؤلاء الاساتذة هم من رجال المخابرات .

وبكفينا في هذا المقام أن نورد كلمة قيمة من كتاب قيم :  
« وسقطت معظم الجامعات المنشأة في بلاد المسلمين ، تحت الأيدي الخفية للاستشراق والتبشير والدوائر الاستعمارية ، وغدت خططها ومناهجها تخضع بطريق غير مباشر لما تفرضه وتعليه هذه

(١) قال الله تعالى : ﴿ أفطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ البقرة : ٧٥ وأنظر النساء : ٤٦ والمائدة : ١٢ و ١٤ وقال تعالى : ﴿ إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترئون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكهم وهم عذاب أليم ﴾ البقرة : ٧٤ وأنظر البقرة : ٤٢ و ١٤٦ و ١٥٩ - ١٦٠ وآل عمران : ٧١ والمائدة : ٧٧ والتوبة : ٣٤ .

الأيدي الخفية . وغدت الكنيسة الغربية تفخر بأن العلوم الاسلامية والعلوم العربية تدرس على طريقها التي تخدم أغراضها في بلاد المسلمين ، وبأن المشرفين على تدريس هذه العلوم من تلامذة أبنائها .

وأي انتكاس أقبح من هذا الانتكاس ، أن يتعلم المسلمون دينهم ولغاتهم ، وفق طرائق أعدائهم وأعداء دينهم ، ووفق دسائسهم وتشويهاتهم وتحويراتهم وأكاذيبهم وافتراءاتهم . هل يقبل اليهود والنصارى أن يتعلموا أصول دياناتهم وفروعها على أيدي علماء المسلمين ، وأن يأخذوا منهم الشهادات لذلك ؟

لما بال المسلمين يسقطون في هذا الانتكاس المشين ؟ ان الاستعمار المادي أهون من هذا اللون من ألوان الاستعمار . الذي وصل الى القاعدة الكبرى التي تقوم عليها الأمة الاسلامية . وهي قاعدة دينها وعلومها المتصلة بهذا الدين «<sup>(١)</sup>

٦ - تحطيم الوحدة الفكرية : يثير المستشرقون البلبلة في صفوف المسلمين باحياء الخلافات الفكرية للفرق - والباطنية منها خاصة - والمذاهب المتطرفة . فإن قويت الآراء والتفسيرات المتناقضة المتضاربة وهاجت العصبية المناصرة كل فئة من المسلمين ما كانت توارثته من قبل - دون اعادة نظرولا اعتدال - أدى ذلك الى البلبلة وايقاظ الفتن النائمة - لعن الله من أيقظها - وتمزقت الأمة الاسلامية أشلاء متناثرة هنا وهناك في دويلات تقوم بينها الخلافات

(١) أجنحة المكر الثلاثة - الشيخ عبد الرحمن الميداني ص ٨٨ .

والمشاحنات لاختلاف النظم والمبادئ والمناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وخاصة بعد اشتداد عزائم الأذنان على اثاره الفتن الطائفية والدعوات القومية .. وهكذا تمزقت الأمة الاسلامية دويلات ودويلات .. وكل منها يعاني داخليا من مطاحنات وخلافات داخلية أو فتن داميات .. وهكذا هان على ضباع الاستعمار الغربي انتباه كل شلو من جسد الأمة الاسلامية دون أن تُبدي مقاومة مجدية .. فتم اقتسام البلاد الاسلامية بعد تدهور وسقوط الدولة العثمانية ، التي سماها المستعمرون بـ «الرجل المريض» . وقع ذلك كله وأذنان الاستشراق والتبشير والاستعمار يزدون الطين بلة ، ويزعمون أن ذلك نتيجة التمسك بالدين . ويوهمون الشباب أن عليهم أن يبحثوا عن مناهج لا دينية تنقذ شعوبهم وتجمع الأمة الاسلامية والعربية .. وتعاموا عن السبب الرئيسي الحقيقي في هذا الدمار ، وهو الاعراض عن حقائق الدين وادخال العصبيات والمطامح الشخصية والعرقية واستغلال الاسلام بتأويلات غير معقولة ولا مقبولة .. حتى 'تحقق' للعدو كثير من أهدافه !!

٧ - تمزيق الوحدة اللغوية في الأمة الاسلامية حرصا على تمزيق عقيدة الأمة ووحدتها . صبّ عملاء الاستشراق أشنع الاتهامات على اللغة العربية ، حتى 'زعموا' أنها لا تستطيع ان تساير موكب العلم الحديث والحضارة المعاصرة .. ومعلوم لدى دارسي العربية أنها أقوى لغات العالم في توليد الألفاظ والكلمات اللازمة للمعاني المستحدثة .. بالنحت والاشتقاق .. الخ .

ونشط المستشرقون في الطعن في حيوية اللغة العربية بأساليب كثيرة ، منها مزاعمهم الكثيرة في اقتباس كلمات عربية من لغات قديمة .. وإذا كانت الكلمات دينية مثل كلمة ( قرأ - قرآن - التحنث والناموس .. ) تعمدوا عزوها الى لغات أخرى لتنفيذ غرضين خبيثين :

أولهما - غرض ديني : وهو التشكيك بنبوة سيد المرسلين ﷺ ، فزعموا أنه أخذ من الأديان الأخرى ومن قوانين الرومان .  
ثانيهما - غرض لغوي : إذ زعموا جمود اللغة العربية وعدم تليتها مطالب الناطقين بها !! زدْ على ذلك طعنهم في عسر تعلمها .. وما واكب ذلك من دعوة الى اللغات العامية لكل قطر عربي .. والى اللغات القومية لكل جنس . حتى انتشرت اللغة الأوردية والفارسية والتركية الطورانية وقويت اللغة الكردية .. وقد صحب ذلك كله الدعوة الى الكتابة بالحروف اللاتينية . مع أن هذه اللغات كانت متداولة - الى جانب العربية - في مستوى محدود ، لكن بالحروف العربية .. فأتمت أبواق الاستشراق والتبشير والاستعمار نشرها وتعميمها وأحلتها محل العربية ، وحاولت ولا زالت تحاول سلبها عن الاتصال بها بالحرف والخط ، حتى صارت الكتابة بالحروف اللاتينية دأب الأتراك مثلاً حفدة الخلافة العثمانية . ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم ..

ولا يخفى على كل باحث أن هذه اللغة من أهم عوامل وحدة الأمة - كما هو مقرر في علم الاجتماع . فضرب وحدة اللغة ضرب لوحدت الأمة . أما بالنسبة للغة العربية فان ضربها أشد خطراً من



ذلك .. فهي عامل وحدة بين الشعوب الاسلامية ، وهي عامل تعلمهم الاسلام ووحدةهم فكريا واعتقاديا واجتماعيا وشعوريا بروابط الاخوة الاسلامية .. لكن غفلة المسلمين وضعفهم وقوة شكيمة عدوهم ومعونة بعض أبناء الامة الاسلامية عدوهم على تحقيق هذا الغرض قد أدى بالامة إلى خسرانها وحدة اللغة . ولا ننسى أن كُتّابا وأدباء كبارا قد تبنا الدعوة الى اللغة العامية .. ومنهم طه حسين في مطلع عهده بالكتابة والتأليف ، وغيره كثير . ثم ومنت هذه الدعوة بعد أن انكشفت أغراضها وبواعثها ، كما انكشفت اخفاؤها وعظيم أضرارها !

٨ - اضعاف الشخصية الاسلامية بالاحتيايل في عرض تاريخ الاسلام : أثبتت حقائق الأحداث أن الدراسات التاريخية الفاسدة أخطر سلاح حتى اضعاف شخصية المواطن . فالتاريخ هو شخصية الأمة . وقد كشفت دراسات علم الاجتماع في الشعوب الأفريقية الوثنية . انها لا تشعر بذاتية قوية بسبب هزال تاريخها ، وأن ميل الكثير من المواطنين للتبعية والتقليد ميل قوي ، وهذا أمر ملاحظ . فالأُمم التي تحفل صفحات تاريخها بالأبجاد والآثر والمفاخر .. تُورث أبناءها اعتدادا بالذات لا يحظى به أبناء الأمم الأخرى . ومن هنا عمدت بعض الدول الى تحسين عرض تاريخها وتفسير حوادثه تفسيرا موجها هادفاً ، حفزا لهم مواطنيها الى صنع الأبجاد من جديد ، فان التاريخ المجيد من أهم العناصر الفعالة في تكوين شخصية المواطن شخصية قوية دائبة على الترقى والتقدم .

انطلق أساتذة الاستشراق في دراسة تاريخ الاسلام الى

الصفحات البيضاء المجيدة الناصعة فطروها أو تعرضوا لها بوجيز القول . وكلما اضطرتهم الظروف الى سرد شيء من أمجاد الاسلام اخترعوا له تفسيراً مادياً سمجاً للتغطية على روعته وعظمته . وانطلقوا الى الاسهاب والتفصيل في عرض الخلافات والفتن والمحن وأضفوا عليها من تفسيراتهم ما يزيد الطين بلة . وتغاضوا عمداً عن الإشارة إلى الدور الذي أداه في ظلام الفتن الطابور الخامس من زنادقة الجحوس واليهود والنصارى . فقد حقد هؤلاء على الاسلام حقداً أسود ؛ بعد أن قهروا عسكرياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً ورأوا شعوبهم تدخل في دين الله أفواجا أفواجا . ولم يجد هؤلاء سبيلاً للطعن في الاسلام وأمته سوى التظاهر بالايمان به ليتمكنوا من الكيد له والتخريب في الدولة الاسلامية من داخل الجسم الاسلامي .

عرض المستشرقون هذه الصفحات مع تفسيراتهم المغرضة كفتنة عثمان ووقعة الجمل .. ليوهمو القراء البسطاء أن المسلمين أمضوا تاريخهم في الفتن والتناحر الداخلي ، وعاشوا في البلايا والرزايا ، وأن الاسلام لم يغير في هذه الشعوب شيئاً من أخلاقها ونزواتها الهمجية .. فاستهدفوا الاسلام طعناً فيه وكيداً له ومكراً بأبنائه . وكأنه هو المسؤول عما جرى .. ولم يشيروا الى أن مخالفات للاسلام قد وقعت فأدت الى ما أدت اليه ، لأن ذلك يمنح المسلمين المعاصرين عظات بليغة تدعوهم للتمسك بالاسلام على نهج تمسك الصحابة والأوائل به ، وأن يتجنبوا الأخطاء ويفتحوا أعينهم على الجواسيس والدخلاء من الأعداء !!

لكن الباحث النبيه الواعي لا يغيب عنه أنه يجب أن يضع تلك  
الفتن بجانب الصفحات البيضاء الوفيرة الكثيرة في تاريخ الاسلام  
وفتحه وعدله وتحريره الانسانية وتوفير السعادة لها واخراجها من  
ظلام الوثنية ومن المبادئ والأفكار السقيمة التي كانت تغلفها  
الكنيسة بها...!! فان المقارنة العلمية بين صفحات المجد والسعادة  
والعز في الاسلام وبين صفحات الفتن تظهر ضالة شأن هذه الفتن  
وضرورة أخذ العبر منها ، وتظهر فضل الاسلام على الانسانية عامة  
وعلى المسلمين خاصة .

واسأل المستشرقين أليس في تاريخكم صفحات سوداء فهل  
تعرضونها بنفس الاسلوب الذي تعرضون به الفتن في تاريخ  
الاسلام ؟!!

إن صفحات التاريخ الأوربي متخمة بالمخازي وبالفتن  
والدماميات والحروب الطاحنات التي كان مدادها عامة الشعب  
لصالح المتألهين من حكامهم الطغاة الظالمين !! تلك المخازي  
العظيمة لا تجد لها نظيراً في كثرتها وشناعتها عند العرب في جاهلية  
ولا إسلام . وهي الطابع العام لتاريخ أوروبا بأسرها ، وغيرها على  
شاكلتها . وإنك قلما تقع في توارخهم على بارقة مشرقة !! خاصة  
في الصفحات الكالحة التي تسبق اتصاهم بالمسلمين وانتعاشهم  
بالتعلم منهم والاقتباس من مبادئ دينهم وحضارتهم !

٩ - التنفير من العودة الى الخلافة الاسلامية :

وقد غدا هذا غرضاً هاماً ، فالدراسات الاستشراقية التاريخية  
تنسب لهارون الرشيد وغيره من الخلفاء ألوان المجون والفسوق ..

تقلها من كتابات غير علمية خطتها أيادي خصوم حائقين .  
وكما تنسب هذه الدراسات كثيرا من المخازي المختلفة للخلافة  
الإسلامية في كافة عصورها ، فإنها تخص الخلافة العثمانية بسيل  
جارف من التهم .. ولكن أين الدراسة العلمية المتفحصمة المعولة على  
الأدلة والوثائق والبراهين ؟! على أن المسلم الواعي لا يعتد بأخطاء  
بعض الخلفاء لنسف نظام الخلافة وما فيه من بيعة ووحدة في  
الرئاسة تجمع كلمة الأمة وتوحد صفوفها . ويدرك كل مسلم واع أن  
الاستشراق والتبشير والاستعمار قد تمالؤا جميعا على هدم الخلافة  
العثمانية وهم اليوم أشد تعاونا على تنفير المسلمين من اللجوء إلى نظام  
الخلافة الإسلامية ، خوفا من وحدتهم التي تقطع نياط قلوب  
الحاقدين من الساسة وغيرهم في الدول الكبرى وفي كثير من دول  
العالم .

١٠ - تحطيم معنويات الشخصية الإسلامية بالاساليب الدعائية  
النفسية ، سعت أبواق الاجنبي إلى إحداث توهم جديد ، وهو  
تفوق العنصر الغربي الآري وتدني العنصر الشرقي السامي .. حتى  
أطلقوا شعارهم العنصري بتكبر وغرور « الشرق شرق والغرب  
غرب » فزعموا أنهم أهل النبوغ والذكاء والمواهب والعلم والعبقرية  
والنظام والتعاون .. وأن الشرق ليس أهلا لذلك ؟!! بل زادوا  
على ذلك بأن بلادهم صناعية وأن بلادنا الشرقية لا تصلح إلا  
للزراعة .. ابتغوا أن يصير الشرق سوقا استهلاكية تمد السادة  
الغربيين بالمنتجات الزراعية ، ليتمتعوا بها بأثمان زهيدة . وحرصوا  
حرصا عظيما على السيطرة في الشرق على المواد الخام والثروات

الباطنية .. وعلى استغلالها بسرعة بالغة قبل أن يصحو الشرق ، وقد غصوا النظر عن استغلال نظيرها في بلادهم .. أدى ذلك إلى افتقار الشرق وضعفه واغتناء الغرب وازدياد قوته بصناعاته المدنية والعسكرية . وساعدهم على ذلك إلجأؤهم أصحاب تلك الثروات والمواد أن يودعوا فائض أثمانها وأموالهم في مصارف الغرب . فأعانهم ذلك وغيره على تطوير صناعاتهم وصناعة الأسلحة خاصة ، وازدهار تجارتهم مع الشرق ، فازدادوا قوةً على قوتهم ! وأدى تخطيطهم أن يستهلك الشرق ، بأثمان عالية جدا المنتجات الغربية « وهي نتاج موارده الخام وثرواته » ليتفاقم فيه الفقر والمرض والضعف والتخلف .. وَهَتَّا على وهن ، بينما ينعم الغرب بخيرات الشرق وثرواته برفاه وبطر وأشر وتجبر على العباد !!

وترسخ هذه الأساليب والخطط عقدة الشعور بالنقص في الشرق المقهور عسكريا ليشعر بالتدني في كل شيء شعورا يمكن الأجانب أن ينهبوا خيرات البلاد ، ويتخذوا لهم صنائع وعملاء من العباد !!

﴿والله غالبٌ على أمره ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون﴾ <sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة يوسف : ٢ .

## الباب الثاني

### الفصل الأول

#### سمات الوحي الإلهي وحقائقه

- \* افتقار البشرية الى وحي الله ورسالاته
- \* المراد بالوحي في اللغة والشرع
- \* معترك الأفكار في إثبات الوحي الى رسول الله
- \* حقائق الوحي



إذا نظرت في بدائع الكائنات وافتقارها للخالق العظيم ،  
ونظرت في تيسيره وتديره واحكامه واتقانه الخلق تبارك وتعالى ،  
علمت أن مقتضى ألوهيته وحكمته أن لا يدع العباد خيارى بين عبادة  
الحجارة ومظاهر الطبيعة ، بل يهديهم إلى الايمان به ، ويرسل اليهم  
رسولا ، ويشرع لهم شرعا يكفل سعادتهم في دنياهم وآخرتهم ،  
فلا يتيهوا عن مرضاة خالقهم العادل الحكيم . وقد ذكر الله تعالى من  
حوار فرعون مع موسى وهارون قوله : ﴿ قال فمن ربكما يا موسى ؟  
قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى ﴾ <sup>(١)</sup> .

لا ريب أن كل عاقل متى آمن بالله تعالى بدلائل العقل القطعية  
أمكنه أن يعرف صفات الباري تبارك وتعالى . وإيمانك بالله وصفاته  
الكمالية يهديك إلى أنه تعالى برأفته ورحمته وحكمته وعدله بين عباده  
لا بد أن يبعث اليهم رسولا منهم يهديهم سواء السبيل ، وأنه تعالى  
يكافئ المحسنين ويعاقب المسيئين ، وأنه تعهد أن لا يعذب أحدا  
حتى ينير له سبل الرشاد . وبهذا ورد خطاب الله تعالى : ﴿ وإن من  
أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ <sup>(٢)</sup>

(١) سورة طه : ٥٠/٤٩ .

(٢) سورة فاطر : ٢٤ . وسورة الاسراء : ١٥ .



﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد  
الرسل﴾<sup>(١)</sup> فالإيمان بالوحي الإلهي إلى الأنبياء من لوازم الإيمان  
بالله تعالى وأسمائه الحسنی وصفاته الجلی .

ألا ترى أن إرسال الله إلى قوم رسولا انقاذ لهم من الضلال  
بفضل الله ورأفته وحكمته؟! وما بعث الله محمدا خاتم المرسلين  
ﷺ إلى الناس كافة في كل زمان ومكان إلا رحمة للإنسانية ، كما  
وصفه جل شأنه : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾<sup>(٢)</sup> ، وقد  
عرفنا رسول الله ﷺ بخلاصة مهمته ، فقال : «أنا أنا رحمة  
مهداة»<sup>(٣)</sup> .

إذا تأملت طبائع البشر ونزعاتهم وغرائزهم وميولهم وحيدتها في  
كثير من المواقف عن الحق والخير أدركت أن الناس بأمرس الحاجة  
إلى رسالة الله وإلى قدوة صالحة يرسله الله إليهم ، يجالسونه ويعاينون  
فيه الصورة التطبيقية الواقعية لدين الله تعالى ، فيرون الفضائل حية  
مجسدة والردائل مطروحة مجتنبية .

إن بعثة الرسل وانزال الشرائع منة من الله تعالى ورحمة على  
سبيل اللطف بالبشر والفضل عليهم . قال ابن تيمية رحمة الله  
عليه : «فن أعظم نعم الله على عباده وأشرف مننه عليهم أن أرسل

(١) سورة النساء : ١٦٥ .

(٢) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات مرسلًا والحاكم مرفوعًا وقال : على شرطها ، وأقره  
الذهبي .

اليهم رسله ، وأنزل عليهم كتبه ، وبين لهم الصراط المستقيم» (١) .  
 إن الايمان برسول الله يعني لا محالة الايمان بوحى الله تعالى إلى  
 الرسل . وأن محمداً ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً جاءنا على ذلك  
 بالدلائل البيّنات والمعجزات القاهرات ، وخلق العظيمة أسمى من أن  
 يجد فيه مخاصم محالاً للطعن في صدقه وأمانته فيما يبلغ عن ربه .  
 والقرآن الذي أعجز الفصحاء والبلغاء والعلماء والحكماء والفلاسفة  
 هو المعجزة الخالدة أبد الدهر ، وهو شاهد عظيم على أن رسالة  
 محمد ﷺ عين اليقين من الله رب العالمين .

### الوحي في اللغة والشرع

الوحي في اللغة : قال ابن منظور : اعلام في خفاء ، ولذلك  
 صار الالهام يسمى وحياً (٢) .

(١) لوائح الأنوار : ج ٢ ص ٢٥٠ ومعتقد أهل السنة أن بعثة الرسل ممكنة ، جائزة  
 على الله سبحانه وتعالى ، ومضى بعض المعتزلة إلى أنها واجبة على الله ، بناء على  
 أصل اتخذوه في مذهبهم ، هو قاعدة التحسين والتقبيح العقليين ، وعلى ما يتفرع  
 عنه من اعتبار الغرض ووجوب اللطاف ووجوب رعاية الأصلح ، والأصل فاسد  
 فما تفرع عنه فاسد أيضاً . فإرسال الرسل - عندنا - لمعاوضة العقل وتسديده أمر  
 جائز في حق تعالى . وأنه وقع وحصل فهو واجب وقوعاً أو سماعاً . انظر شرح  
 المواقف لعلي بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ ج ٨ ص ٢٣٥ الطبعة الأولى سنة  
 ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م مطبعة السعادة بالقاهرة . وانظر لوائح الأنوار البهية وسواطع  
 الاسرار الاثرية ج ٢ ص ٢٤٨/٢٤٧ .

(٢) لسان العرب - محمد بن منظور الافريقي - مادة (وحي) - وفيه أن الوحي بمعنى  
 الإشارة والكتابة والرسالة والالهام والكلام الخفي وكل ما ألقىته إلى غيرك . يقال :  
 وحيت الكلام إليه وأوحيت ، ووحي وحياً . وأوحى أيضاً أي كتب ، والوحي  
 المكتوب والكتاب أيضاً . وقال الآلوسي : قال الامام عبدالله التيمي : الوحي  
 أصله الفهم ، وكل ما فهم به شيء من الالهام والإشارة والكتب فهو وحي (روح  
 المعاني ج ٢٧ ص ٥٢ الطبعة المنيرية) وقال الزجاج : الإيحاء : الاعلام على سبيل  
 الخفاء (التفسير الكبير - للرازي ج ١١ ص ١٠٨) .

وقال الراغب الأصفهاني : أصل الوحي الإشارة السريعة .  
ولتضمن السرعة قيل : أمروحي . وذلك يكون بالكلام على سبيل  
الرمز والتعريض . وقد يكون بصوت مجرد عن التركيب أو بإشارة  
ببعض الجوارح ، وبالكتابه<sup>(١)</sup> .

واليه ذهب ابن الأثير في النهاية .  
ونلاحظ أن الراغب وابن الأثير نبّها على اعتبار السرعة في  
حقيقة الوحي . وقد أغفل ذلك صاحب اللسان وصاحب تاج  
العروس ، لكنهما أفاضوا في ذكر استعمال الوحي في السرعة خاصة .  
نقول : ان الراغب وابن الأثير كانا على حق فيما ذهبا اليه ، فقد  
أفادت اطلاقات اللغة العربية أن السرعة والخفاء من سمات الوحي  
ومزاياه .

**الوحي في الشرع :** قال ابن الأنباري : انما سمي وحيا لأن  
الملك أسره على الخلق وخصّ به النبي الذي بعثه الله اليه<sup>(٢)</sup> .  
أقول : ومنه تعلم أن الوحي انما يكون سرا .  
وقال الراغب : ويقال للكلمة الالهية التي تُلقى الى انبيائه :  
وحي . وذلك أضرب حسبما دل عليه قوله ﴿ وما كان لبشر أن ﴾

---

(١) المفردات في غرب القرآن . للراغب الأصفهاني . ط . مصطفى الباي الحلبي .  
(٢) لسان العرب : وفيه : قال الأزهري : وكذلك الإشارة والابناء يسمى وحيا ،  
والكتابة تسمى وحيا . وقال الله عز وجل : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا  
أو من وراء حجاب ﴾ معناه : الا أن يوحى اليه وحيا (بواسطة ملك) فيعلمه بما  
يعلم البشر أنه أعلمه ، إما الهاما أو رؤيا ، واما أن ينزل عليه كتابا كما أنزل على  
موسى أو قرآنا يتلى عليه كما أنزل على سيدنا محمد ﷺ . وكل هذا اعلام (خفي)  
وان اختلفت أسباب الاعلام فيه .

بكلّمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بأذنه ما يشاء ﴿١﴾ .

وزبدة القول أن الوحي شرعا : لقاء الله الكلام أو المعنى في نفس الرسول بخفاء وسرعة .

ولقد أورد القرآن الكريم في مواطن كثيرة كلمة ( الوحي ) أو مشتقاتها بالمعاني التي أطلقت عليها في اللغة العربية (٢) كما استعملها بالمعنى الخاص بالرسول ، وهو اعلام خاص خفي سريع من الله تعالى لرسله وأنبيائه .

أقول : ومن هنا نلاحظ أن معنى الوحي في الشرع أخص منه في اللغة من جهة مصدره وهو الله تعالى ومن جهة الموحى اليهم وهم الرسل .

### معتك الأفكار في إثبات الوحي

دارت المعركة بين مثبتي الوحي ومنكريه حامية الوطيس في تاريخ الفكر الانساني وحاضره . وكل يأتي بغاية ما لديه من حجج ودلائل . وقد وجدت أفضل الأجوبة المسكتة والبراهين الغلبة هي ما أورده الله في كتابه المبين . وأن أبلغ منهج في إثبات الوحي هو منهج القرآن العظيم ، إذ لا يدانيه فكر ولا منهج في تثبيت الوحي الى

(١) سورة الشورى : ٥١ .

(٢) كالألهام فما لا صلة له بالشرائع والاحكام كقوله ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ﴾ (سورة القصص : ٧) ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي .. ﴾ (سورة النحل : ٦٨) .

سيد المرسلين محمد ﷺ وإلى اخوانه النبيين قبله . فما هو هذا المنهج ؟!

لا أعرف أحداً تطرق إلى اعطاء صورة كلية عن هذا المنهج . فلا بد لي أن أعول في أخذ هذه الصورة على القرآن ذاته . ولقد وجدت بعد تفصي الآيات البيّنات أن الذكر الحكيم قد سلك في إثبات الوحي لمحمد ﷺ مسلكين ، أقام بهما الحجة وحسم النزاع . فإما أن يكون الخصم ممن آمن برسول سابق فهو من أهل الكتاب ، وإما أن يكون جاحداً لجميع الرسل كالمشركين والملاحدة . ولا شك أن المستشرقين لا يخرجون عن هذين الصنفين .

إذا كان الخصم مؤمناً برسول قبل محمد ﷺ فيلزمه أن يثبت الوحي لمن آمن به من رسل . فما يقوله هناك في إثبات حادثة الوحي ، يحتج به عليه هنا . وهذا ما نواجه به اليهود والنصارى ، فانهم يؤمنون بالأنبياء ، وإن خالفوا في البعض . وقد أقام الله الحجة على اليهود في كتابه المبين . وذلك أنهم بالغوا في إنكار نزول القرآن على محمد ﷺ حتى أظهروه في صورة المستحيلات .

أما إذا كان المجادل في وحي الله تعالى من الملاحدة ، فإنه لا بد من تأسيس البحث معه على الإيمان بالله تعالى ، فهذا هو الأصل الأصيل في البحث . وقد عبر عن هذا بعض ملاحدة القومية الطورانية - من كبار أتباع كمال أتاتورك - إذ قال : أعطوني الإيمان بالله أسلم لكم بكل ما تقولون في الرسل والرسالات <sup>(١)</sup> . لكن هذا

(١) موقف العقل والعلم والعالم - شيخ الاسلام مصطفى صبري ج ٣ .

لا يمنع أن نجابه المجادل بما في ظواهر الطبيعة من براهين الايمان بالله رب العالمين ، وبما في ظواهرها من دلالات عقلية على امكان الوحي الالهي الى الرسل دون وساطة مادية مباشرة . وبهذا يسقط توهم المجادل أن الوحي من المستحيلات ، وتنطوي مسافة شاسعة كانت بينه وبين الايمان بوحي الله ورسله ورسالاته . وفي هذا الاستدلال العلمي الذي نسوقه من افحام الملحد والمشرک - جاحد النبوة - ما لا يطيق دفعه .

وفي هذه الحال يجب على الداعية - في تقديرنا - أن يقيم أولا الدليل على امكان وقوع الوحي عقلا ، ثم يثبت - ثانيا - حصول الوحي لسيدنا محمد ﷺ بذكر الحوادث الدالة عليه ، والاحوال التي كانت تعرض للرسول ابان نزول الوحي على مرأى من الصحابة رضوان الله عليهم . ويزيد بالمرحلة الثالثة براهينه فضلا وقوة في اقامة الحجة الحاسمة فيذكر المعجزات الحسية والعقلية التي أجراها الله لمحمد ﷺ .

وهذا المنهج - برأينا - كفيل بحسم مادة النزاع ، وقطع دابر الشك عند من رزق فكرا صحيحا وقلبا حيا شغوفاً بالحق ﴿ ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ (١) وقد سلك القرآن هذه المسالك وجلى الحقيقة فيها بالبرهان الساطع (٢) .

(١) سورة ق : ٣٧ .

(٢) توسعت في هذا الجانب من البحث في « نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن » ص ١٨٤/١٦٦ ط . حلب . فليرجع الباحث اليه .

## حقائق وحي الله

شهد الصحابة رضي الله عنهم امام المسلمين وهو يوحى اليه ،  
 وحديثهم ﷺ عن بدء الوحي وأحواله . فاستبان من خلال ذلك  
 كله خصائص الوحي ، واستقر في افئدتهم علم اليقين بأن هذا وحي  
 الله العظيم الى نبيه الكريم محمد ﷺ ، فانه خارج عن دائرة  
 امكاناته ومعارفه ، بل هو مأمور خاضع لا يملك من أمر الوحي  
 شيئا ، ولا سبيل له إلى اجتلابه ولا إلى دفعه ، ولكن للوحي الالهي  
 سيطرة وهيمنة على النبي الكريم ، يشهد الناظر آثارها عليه اثناء  
 نزول الوحي اليه ﴿ **وَأَنْتَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾ (١) .  
 ولا سبيل للباحث الى معرفة خصائص الوحي واثباتها ربانية  
 مصدره إلا بالنظر المتأمل المستنبط في حقائق الوحي ، فلا بد لنا من  
 سرد أهم الأحاديث التي وردت في وصف مظاهر الوحي وتحديد  
 سماته .

\* روى البخاري في أول صحيحه عن عائشة أم المؤمنين رضي  
 الله عنها أنها قالت : « أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي  
 الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق  
 الصبح (٢) . ثم حجب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء ،  
 فيتحنّث (٣) فيه - وهو التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن ينزع (٤)

(١) سورة النمل : ٦ .

(٢) (الرؤيا الصالحة في النوم) الرؤيا الصادقة . (جاءت مثل فلق الصبح) : ظهرت  
 مطابقها للواقع كظهور ضياء الصبح لناظره .

(٣) (يتحنّث) يتعبد . وفي الأصل يتحنّث فلان : يفعل فعلا يخرج به عن الحنث وهو  
 الائم - كما في النهاية لابن الأثير .

(٤) (ينزع) : يرجع .

الى أهله ويتزود لذلك ، ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها . حتى جاءه الحق<sup>(١)</sup> وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ . قال : ما أنا بقارئ . قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد<sup>(٢)</sup> ثم أرسلني فقال : اقرأ .

قلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : اقرأ .

فقلت : ما أنا بقارئ . فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . ﴾

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها .

فقال : زملوني زملوني .

فزملوه حتى ذهب عنه الروع<sup>(٣)</sup> .

فقال لخديجة وأخبرها الخبر : لقد خشيت على نفسي<sup>(٤)</sup> .

فقالت خديجة : كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق<sup>(٥)</sup> .

---

(١) جاء الحق ( الامر الحق وهو مجيئ الملك بالوحي . وسمي حقا لأنه من الله تعالى .

(٢) غطني ) ضمني وعصرتني . وأصل الغط حبس النفس . ومنه غطه في الماء .

( حتى بلغ مني الجهد ) حتى بلغ الغط مني غاية وسعي .

(٣) ( زملوه ) : لفوه . ( الروع ) : الفزع .

(٤) ( لقد خشيت على نفسي ) أي خشيت المرض أو الموت لشدة ما أصابني من الرعب .

(٥) ( الكل ) : العاجز أو الذي لا يستقل بأمره . ( تكسب المعدوم ) تعطي الفقير المعدوم ما لا يجده عند غيرك .



فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة .  
 وكان امرأ تنصّر<sup>(١)</sup> في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي .

فقال له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك .  
 فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟  
 فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى .  
 فقال له ورقة : هذا الناموس<sup>(٢)</sup> الذي نزل الله على موسى .  
 باليتني فيها جذعا<sup>(٣)</sup> ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك .  
 فقال رسول الله ﷺ : أومُخرجي هم ؟  
 قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وان يُدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرا<sup>(٤)</sup> .  
 ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي<sup>(٥)</sup> .

\* وروى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أن

- 
- (١) ( تنصّر ) صار نصرانيا . فان ورقة لما كره عبادة الأوثان خرج الى الشام يسأل عن الدين فاعتنق النصرانية ، وتعلم اللغة العبرية .  
 (٢) ( هذا الناموس ) وهو في الاصل صاحب السر . وأراد به ملك الوحي جبريل عليه السلام الذي يوصل الوحي سرا إلى الأنبياء .  
 (٣) ( يا ليتني فيها جذعا ) يا ليتني أعود في أيام دعوتك شابا .  
 (٤) ( نصرا مؤزرا ) نصرا قويا .  
 (٥) ( لم ينشب ) لم يلبث أو لم يتعلق ورقة بشي من الأمور حتى مات ( فتر الوحي ) : تأخر مدة من الزمان . والحكمة من ذلك أن يذهب عن النبي ﷺ ما أصابه من الفزع ويحصل له التشوف والتلهف الى عوده .

الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ . فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله ﷺ : ( أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال . وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة : ( ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا )<sup>(١)</sup> .

\* وروى البخاري أيضا عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال وهو يحدث عن فترة الوحي ، فقال في حديثه ( بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . فرُعبتُ منه ، فرجعتُ فقلت زملوني زملوني ، فأنزل الله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر - إلى قوله - والرجز فاهجر ﴾ فحمى الوحي وتتابع )<sup>(٢)</sup> .

(١) رواه البخاري في باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله ، ورواه مسلم في صحيحه ومالك في الموطأ . ومعني ( صلصلة الجرس ) الصلصلة في الاصل : صوت وقوع الحديد بعضه على بعضه . ثم أطلق على كل صوت له طنين . ( فيفصم عني ) يقطع عني وينجلي ما كان يغشائي . ( يتفصد عرقا ) من الفصد وهو : قطع العرق لاسالة الدم . شبه به جبينه لظهور كثرة العرق المتقاطر منه .

(٢) صحيح البخاري : باب كيف كان بدء الوحي . والآيات النازلة هنا قوله تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ﴾ ومعني المدثر : المغطى بثيابه ويراد به النبي نفسه . ( قم بأنذر ) حذر من العذاب من لم يؤمن بك . ( وربك فكبر ) عظم ربك . ( وثيابك فطهر ) كناية عن تطهير النفس من الشوائب باجتنب النقاص . ( والرجز فاهجر ) الرجز : العذاب . أمره بترك كل ما يسبب العذاب من الآثام ورأسها عبادة الأوثان . وقوله : ( فحمى الوحي وتتابع ) أي جاء كثيرا . وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفطور . ( في حديث عائشة الأول ) .

- انظر في مفردات الاحاديث : فتح الباري ج ١ ص ١٥ وما بعدها - طبعة الخشاب وانظر النهاية في غريب الحديث والاثار ، لابن الاثير .

\* روى البخاري عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ، وكان مما يحرك شفتيه <sup>(١)</sup> فقال ابن عباس فأنا أحركها لكم كما كان رسول الله يحركها . وقال سعيد : أنا أحركها كما رأيت ابن عباس يحركها ، فحرك شفتيه فأنزل الله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال : جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿ فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ قال : فاستمع له وأنصت ﴿ ثم ان علينا بيانه ﴾ ثم أن علينا أن تقرأه . فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع ، فاذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه <sup>(٢)</sup> .

\* روى البخاري <sup>(٣)</sup> أن يعلى قال لعمر بن الخطاب رضي الله عنهما : أرني النبي ﷺ حين يُوحى إليه . قال : فبينما النبي ﷺ بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمره وهو متضمن بطيب ؟ فسكت النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر رضي الله عنه إلى يعلى ، فجاء يعلى ، وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظلم به ، فأدخل رأسه ، فاذا رسول الله ﷺ محمّر الوجه وهو يغط ثم سري عنه . فقال : أين الذي سأل عن العمرة . فأُتيَ برجل ، فقال : اغسل

(١) يعني أنه كان يحرك شفتيه مع لسانه . وانظر سورة القيامة : ١٦/١٩ .

(٢) باب كيف كان بدء الوحي برسول الله ﷺ من صحيح البخاري .

(٣) البخاري بلفظه ، كتاب الحج باب غسل الخلق من الثياب . ورواه مسلم - كتاب الحج باب ما يباح للمحرم بحج أو بعمره - والنسائي - كتاب الحج - باب الخلق للمحرم .

الطيب الذي بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة واصنع في  
عمرتك كما تصنع في حجَّتكَ (١) .

\* روى مسلم وغيره (٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه  
قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم ، اذ طلع  
علينا رجلٌ شديدٌ بياض الثياب شديدٌ سواد الشعر ، لا يُرى عليه  
أثر السفر ولا يعرفه منا أحدٌ ، حتى جلس الى النبي ﷺ فأسند  
رُكبتيه الى رُكبتيه ووضع كَفَّيه على فخذه .

وقال : يا محمد أخبرني عن الاسلام ؟  
فقال رسول الله ﷺ : الاسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله  
وأن محمداً رسولُ الله ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان  
وتُحجَّ البيت ان استطعت اليه سبيلا .  
قال صدقت .

قال : فعجبنا له يسأله ويصدقه !  
قال : فأخبرني عن الايمان ؟  
قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،  
وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت . قال : فأخبرني عن الاحسان ؟

---

(١) قوله : ( يعط ) والغطيظ صوت النفس المتردد من النائم أو المغمى ، وسبب ذلك  
شدة ثقل الوحي . ( سري عنه ) زال عنه ما اعتراه تدريجياً « فتح الباري ج ٣  
ص ٣٩٥/٣٩٣ ط . السلفية »

(٢) واللفظ لمسلم في كتاب الايمان - باب وصف جبريل للنبي ﷺ الاسلام والايمان ،  
وأخرجه الترمذي فيه أيضا ، وأبو داود في كتاب السنة - باب في القدر . وأخرجه  
النسائي في كتاب الايمان - باب نعت الاسلام .

قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .  
 قال : فأخبرني عن الساعة ؟  
 قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل .  
 قال : فأخبرني عن أماراتها ؟  
 قال : أن تلد الأمة ريبتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان .  
 قال : ثم انطلق . فلبث مليا .  
 ثم قال لي : يا عمرُ أتدري من السائل ؟  
 قلت : الله ورسوله أعلم .  
 قال : فإنه جبريل أتاكم يُعلمكم دينكم <sup>(١)</sup> .

(١) قوله ( فأُسند ركبتيه الى ركبتيه ) أي جلس أمام الرسول وركبناه أما ركبتيه ( ووضع كفيه على فخذيه ) أن الرجل جلس جلسة المتأدب المستفهم ، فوضع كفيه على فخذيه نفسه كما هو مألوف في طلاب العلم .  
 ( أخبرني عن أماراتها ) عن علاماتها الدالة على قرب وقوعها .  
 ( أن تلد الأمة ريبتها ) : للعلماء في المراد منه أقوال كثيرة ، أشهرها كما ذكره ابن الأثير : « هي الأمة تلد للرجل ، فيكون ابنها مولى لها ، وكذلك ابنتها ، لأنها في الحسب كأبيها . والمراد أن السبي يكثر ، والنعمة تفشو في الناس وتظهر » .  
 ويبدو لنا أنه انقلاب المفاهيم والقيم ، حتى تتناول الفتاة على والدتها ، والخادمة ونحوها على سيدتها ، وهكذا ..  
 ( وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان ) فالعالة : جمع عائل ، وهم الفقراء . والرعاء : جمع راع ، وهم الرعاة . الشاء : جمع شياه . والمعنى أن أهل البادية ومن على شاكلتهم من الأجلاف والهمج - ويغلب عليهم الفقر عادة - سيبسط لهم الدنيا فيتنافسون على مراتبها ويزرقون في البنيان متباهين .  
 ( مليا ) طائفة من الزمان طويلة .

« صحيح مسلم بتعليق محمد قواد عبد الباقي ج ١ ص ٣٨ وجامع الأصول ج ١ ص ٢١٢ ط . دمشق وجامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ص ٣٥ والأربعين النووية وشرحها - للنووي ص ١٨ ضمن مجموعة الحديث ط . الرياض » .

وهذا رسول الله ﷺ تشهده عائشة ووالداها رضي الله عنهم  
وقد نزل عليه الوحي في بيتها ، فاحمر جسمه ، وتحدر العرق منه  
كحبات اللؤلؤ .

\* قالت عائشة رضي الله عنها : « فوالله ما رام رسول الله ﷺ  
ولا خرج أحد من أهل بيت حتى أنزل عليه ، فأخذه ما كان يأخذه  
من البرحاء ، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجبان من العرق ، وهو في  
يوم شات ، من ثقل القول الذي ينزل عليه » (١) .

وإذا كان صوت الوحي قد طرق سمع رسول الله ﷺ قويا  
كصلصلة الجرس يشغل اذنيه ويملاً أقطار نفسه ، فانه قد طرق  
أسماع الصحابة حوله خافتا غير مفهوم أشبه ما يكون بدوي النحل .  
فاختلف تشبيه صوته بين الفريقين نظرا لاختلافه قوة وخفتا بينهما  
لتركز وجهته على الرسول دون الصحابة . فوصفه كل كما سمع فلا  
تعارض بين الوصفين .

\* عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله  
ﷺ إذا أنزل عليه الوحي يُسمعُ عند وجهه كدوي النحل ، فأنزل  
عليه يوما ، فكثنا ساعة ، ثم سُري عنه ، فقرأ : ﴿ قد أفلح  
المؤمنون ﴾ - الى عشر آيات منها من أولها - وقال : « من أقام هذه  
العشر آيات دخل الجنة ، ثم استقبل القبلة ، ورفع يديه وقال :  
اللهم زدنا ولا تنقصنا ، وأكرمنا ولا تُهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ،

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير - سورة النور . ومعنى (رام) : فارق ، من (رام  
يرم رما) . ولكن (رام يروم روما) معناها : طلب . (البرحاء) شدة الحمى .  
(الجهان) : اللؤلؤ - فتح الباري ج ٨ ص ٣٣٦ .

وآثرنا ولا نُؤثرَ علينا ، اللهم اَرْضِنَا وارْضَ عَنَا « (١) .

\* روى البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : « أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذي فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي » (٢) .

\* عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت :  
« إن كان ليُوحى إليه وهو على ناقته فتضرب جرائها من ثقل ما يوحى إليه » (٣) .

وروى ابن جرير الطبري بإسناده عن هشام بن عروة عن أبيه :  
« أن النبي ﷺ كان إذا أوحى إليه وهو على ناقته ، وضعت جرائها ، فما تستطيع أن تحرك حتى يُسرّى عنه » (٤) .

(١) أخرجه أحمد والحاكم وصححه والترمذي والنسائي واللفظ للترمذي في كتاب التفسير - باب ومن سورة المؤمنين ، انظر فتح الباري : ١ : ١٥ وشرح المواهب للزرقاني ١ : ٢٢٩ جامع الاصول ج ١٩ حديث ٨٨٤٧ ط . دمشق .

(٢) صحيح البخاري في تفسير سورة النساء . وانظر شرح المواهب للزرقاني : ١ : ٢٢٩ . وقد ذكر أيضا رواية الطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : ( كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ وكان إذا نزل عليه أخذته برحاء ( حمى ) شديدة ، وعرق عرقا شديدا مثل الجمان ، ثم سرى عنه . وكنت أكتب وهو عليّ عليّ فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي حتى أقول : لا أمشي على رجلي أبدا . ولما نزلت عليه سورة المائدة كادت أن ينكسر عضد ناقته من ثقل السورة ) . ورواه أحمد والبيهقي في الشعب .

أقول : يبدو أن هذه الرواية ضعيفة ، فقد أشار إليها الميعمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٣ ونسبها لأحمد والطبراني ، وبين أن في نسخة الحديث شهر بن حوشب ، وهو ضعيف وقد وثق .

(٣) رواه أحمد في المسند ج ٦ ص ١١٨ والبيهقي في الدلائل . انظر شرح المواهب ١ : ٢٢٩ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ وفتح الباري ج ١ ص ١٧ . الجران : باطن العنق . كذا في النهاية لابن الأثير .

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ٩ ص ٨٠٢ .

## الفصل الثاني

### خصائص الوحي

- \* الوحي حدث مفاجئ
- \* الوحي حدث الزامي
- \* الوحي مستقل عن ذات النبي وإرادته
- \* حصوله وفق الاصطفاء الالهي
- \* قوة يقين النبي بالوحي
- \* معارف الوحي فوق مطامح الانسان وعلومه





## خصائص الوحي

ومن حنايا القرآن الحكيم وأحاديث النبي الكريم أستخلص أهم  
خصائص الوحي المميزة :

### ١ - الوحي حدث مفاجئ :

انه حدث تلقائي فجائي طرأ على حياة من اصطفاه الله للرسالة  
أو النبوة دون سابق توقع أو تطلع . فهذا محمد ﷺ في عزله عن  
العالم فاجأه ملك الوحي في غار حراء وأخذ يعتصره بقوة حتى  
أجهده وأضناه . فعل ذلك به ثلاثا حتى ارتجف فؤاده وخاف على  
نفسه . فانطلق لثوه الى زوجته خديجة مرتاعا ، فلما سكن ، أخبرها  
الخبر مستغرباً وجللاً . ثم انطلق معها ليستفسر عنه ويتعرف عليه .  
وبينما كان ﷺ ماشياً طرق سمعه صوت من السماء فرفع بصره  
اليه فشاهد جبريل جالسا على كرسي بين السماء والأرض . ففزع  
منه ورجع الى بيته يتزمل ثانية . لكن ملك الوحي لم يدعه يركن الى  
التزمل والتدثر ، فها هو ذا يستنهضه مرة اثر أخرى ﴿ يا أيها المدثر  
قم فأندر وربك فكبر ... ﴾ (١) . ﴿ يا أيها المزمل قم الليل إلا

(١) سورة المدثر أسبق نزولا من المزمل . أنظر ابن كثير ج ٤ ص ٤٤٠ . وفتح الباري  
ج ٨ ص ٥١١ وروح المعاني ج ٢٩ ص ١١٥ .

قليلًا ... ﴿ هذا وغيره من صور الوحي أفاد أن الرسول لم يستشرف الوحي ولم يتأهب له ، بل لقد طرق الوحي حياة الرسول طروقاً مباغتاً لم يكن في حسبانهِ . حتى كان يفاجئه ليلاً ونهاراً في سفرٍ أو حضرٍ راكباً أو جالساً .

## ٢ - الوحي حدث الزامي :

ونسيتين ذلك من ناحيتين :

**أولاهما : الأعراض الجسدية :** ولقد ينزل عليه الوحي فتعثره أعراض الزامية كاحمرار الوجه وتتابع الأنفاس ، مع تحول الوعي عما حوله الى ملك الوحي . وينجلي عنه الوحي في اليوم القارس البرد وان العرق ليتقاطر غزيراً من جبينه ، وان جسم رسول الله ﷺ ليتقل من شدة الوحي ، حتى تكاد فخذته ترض فخذ زيد دونها ، وحتى تثقل ناقتة فتبرك على الأرض . وتزخر أذناه بأصوات حادة كصلصلة الجرس ، يجد الصحابة لها دويًا كدوي النحل .

**وواضح لكل ذي لب أن هذه الأعراض الزامية مفاجئة فليس في طوق أحد من البشر افتعالها ، وأن مسبها - بلا مرأى - ذات أخرى تغاير الذات المحمدية .**

ويزيد القضية جلاء أن هذه الأعراض غير الارادية ما كانت تعترى رسول الله قط إلا في الفترة الوجيزة التي يتلقى فيها القرآن . فاقتران هذه الأعراض العضوية بهذا الحدث الوحي برهان جلي على براءة ظاهرة الوحي من شوائب الذات الانسانية الصحيحة أو العليلة .

ثانيتها : الأحوال النفسية : لقد انتاب الخوف رسول الله ﷺ من ملك الوحي في جولاته الأولى حتى خشي على نفسه الهلاك . وكان الأمر مبها بالنسبة اليه حتى راح يستفسر عنه . ثم عرض له فأرعبه حتى لاذ منه بالفرار . والتجأ الى التدثر والتزمل ليسكن فؤاده ويدفع عن نفسه مشاهدة الملك ووميض الوحي فلم يُجده ذلك شيئا . فاذا بلغ الوحي أشده وقرع صلبه مسامع الرسول اتجه وعيه كلية الى ملك الوحي حتى يقضي مقالته .

فمحمد ﷺ أراد أن يتملص طواعية من ملك الوحي ، لكن سلطان وحي الله لم يترك له مناصاً من الاذعان والتلقي . إن مقاومته تلك <sup>(١)</sup> تدل على التعارض بين وجهته التي اتخذها بدافع من سجيته الشخصية وبين حتمية النبوة التي طوقت ارادته وهيمنت على ذاته . وفي هذه القرائن دلائل قوية للنظرة الموضوعية في نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

### ٣ - الوحي مستقل عن ذات النبي و ارادته :

يظهر لك من الخصيصتين السابقتين أن الوحي خارج عن ذات رسول الله ﷺ ، فهو تلقائي فجائي الزامي . والأعراض الجسدية والأحوال النفسية تفيد استقلاله عن ارادة النبي ﷺ وعجزه عن دفعه عن نفسه . وتفيد القرائن أيضا عجزه عن استحضاره ، فإن الوحي قد انقطع بعد أن جاءه الملك في غار حراء أول مرة . فلما

(١) وقد نسب الاستاذ الكبير مالك بن نبي هذه المقاومة الى أنبياء آخرين أيضا . انظر الظاهرة القرآنية ص ٩٧/٩٦ - طبعة ثانية - دار العروبة بالقاهرة .

عرف النبي جليلة الأمر أقصّ مضجعه فتورّ الوحي ، فقد خاف أن يكون حُرْم نعمة النبوة . فلما شاهد الملك على كرسي بين السماء والأرض فزع إلى أهله يتدثر ويتزمل .. وفي فترة الوحي هذه حكم الهية جليلة ، منها : أنه ﷺ لما فجأه ملك الوحي أول مرة في الغار هاله لقاءه ونفر منه طبعه البشري لمخالفته المألوف الانساني . ولم يتمكن بالتالي من التأمل في تلك الحال ، فجاءت فترة الوحي تعطي رسول الله فسحة لانعام النظر واطمئنانا الى تلقي الوحي وألفة للملك عليه السلام ، فيذهب عنه الرّوع ويحصل له التشوف إلى عودة الوحي . فالله تبارك وتعالى يعدّ الرسول ويقويه ويحوطه بعنايته الخاصة ليتحمل الوحي لكنه لا يسلخه عن طباعه البشرية .

ومن الحكم الالهية أيضاً : أن هذه الفترة قد حملت الرسول على التعجب والتساؤل والبحث ، وانتشر الخبر بين طائفة يعز عندها محمد بن عبدالله ، فخلّف انقطاع الوحي يقينا بأن هذه الظاهرة خارجة عن ذات النبي ، فصار مع من حوله متبئين من إلهية ظاهرة الوحي (١) .

وقد استببطاً رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فتحته على الاكثار من زيارته ، فنزل الجواب آية من القرآن تبين أنه مأمور من الله تعالى وأن الله لا ينسى رسوله .

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول

(١) راجع حديث البخاري عن بدء الوحي في أول صحيحه وفي كتاب التعبير منه . وأما مدة فترة الوحي فقليل كانت ستين ونصف وقيل ثلاث سنين وقيل أياما وقد رجحه ابن كثير . انظر فتح الباري ج ١ ص ٢١ وج ١٢ ص ٢٩٢/٢٩١ .

الله ﷺ لجبريل : « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، فنزلت الآية : ﴿ وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا ﴾ <sup>(١)</sup> .

وهناك آثار أخرى تفيد أن جبريل قد احتبس عن رسول الله ﷺ . ذكر بعضها ابن كثير <sup>(٢)</sup> ، وأنه - كما روى البخاري - طلب الوحي في بعض المسائل الملحة الهامة فكث شهراً لا يأتيه فيها وحي <sup>(٣)</sup> ، وروى محمد بن اسحاق أن قريشا بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة ليسألهم عن محمد عليه الصلاة والسلام باعتبارهم أصحاب كتاب . فقالت لهما أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث نأمركم بهن ، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول فَرَوْا فيه رأيكم . سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان أمرهم ؟ فانه قد كان لهم حديث عجيب ، وسلوه عن رجل طَواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، ما كان نبؤه ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي ، وإن لم يفعل فهو رجل متقول ، فاصنعوا في أمره ما بدا لكم . فجاءوا رسول الله ﷺ .. فقال لهم : « أخبركم بما سألتكم عنه غدا » ولم يستثن ، فانصرفوا عنه . فكث رسول الله ﷺ - فيما يذكرون - خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل ، حتى أرجف أهل مكة ،

(١) سورة مريم : ٦٤ - والحديث في كتاب التفسير من صحيح البخاري .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ١٣٠ .

(٣) صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة النور .

وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سألتناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحي عنه . وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة . ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح <sup>(١)</sup> .

ولقد كان رسول الله ﷺ يحرك شفثيه غرزيا أثناء تلقي الوحي حرصا على الدقة في استحفاظ القرآن ، فأثاه الأمر بالاستسلام الكامل للوحي قلبا وفكرا وجارحة ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، ﴿ ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى اليك وحيه وقل رب زدني علما ﴾ <sup>(٣)</sup> .

(١) وروى البخاري عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : بينا أنا مع النبي ﷺ في حرت وهو متكئ على عسيب ( غصن نخيل ) إذ مر اليهود فقال بعضهم لبعض : سلوه عن الروح ، فقال : ما رايكم اليه ؟ وقال بعضهم : لا يستقبلكم بشيء تكرهونه ! فقالوا : سلوه ، فسأله عن الروح ، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئا ، فعلمت أنه يوحى اليه ، فقامت مقامي ، فلما نزل الوحي قال : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ . ( الاسراء : ٨٥ ) ، ويمكن التوفيق بين الروايتين بأنه قد تعدد النزول والنازل واحد ، وأن يحمل سكوت النبي ﷺ في المرة الثانية بأنه قد توقع مزيدا من البيان عن الروح . وعلى كل فان فترة الوحي ههنا خمسة عشر يوما عن الاجابة عن السؤالين الأولين لم تزل قائمة دون معارض . وبيت القصيد هنا الاستشهاد على خروج الوحي عن ذات وارادة محمد ﷺ ، وهو موفور فيما ذكرنا وفي آثار أخرى لم نذكرها عزوفا عن الاطالة - انظر صحيح البخاري - كتاب التفسير - سورة الاسراء - وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٢٢/٣٢٠ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - وفتح الباري ج ٨ ص ٢٧٩ .

(٢) سورة القيامة : ١٦ .

(٣) سورة طه : ١١٤ .

وهكذا يجد الباحث أن الوحي كان ينقطع عن رسول الله ﷺ على الرغم من شدة طلبه وحرارة لهفته اليه ، وأنه فجائي الزامي يأمره بالتسليم التام . ولهذا دلالة بليغة على أن حدوث الوحي مستقل عن تدخل ذات النبي وإرادته ، وأنه لا سبيل له إلى دفعه أو استحضاره . وهذا مما يقوي اليقين بصدق صاحبه والاطمئنان الى ربانية مصدره .

#### ٤ - حصول الوحي وفق الاصطفاء الإلهي :

أشربت أعناق المشركين الى مقام النبوة بعد أن سمعوا آيات الله الباهرات ، ورأوا ما أجراه على يد محمد ﷺ من معجزات قاهرات . تملك الحسد قلوبهم ، كيف تكون النبوة خاصة بمحمد وفيهم من الزعماء من تعظمهم قبائل العرب ؟!

اندفع أكابر مجرمي مكة بظالمون أن ينزل الله عليهم الوحي كما أنزله على المرسلين ، فكشفوا عن عنادهم واستكبارهم عن الحق المبين . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى يُؤْتَىٰ مِثْلُ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ . اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ . سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴾ (١)

بل بلغ بالقوم الحق واللجاج بالباطل أن ابتغى كل منهم حصول الوحي له . كما أخبر الله عنهم ﴿ بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُنشَرَةً ﴾ (٢) فكبح الله جماح غرورهم ولجاجهم ، اذ أشار

(١) سورة الأنعام : ١٢٤ .

(٢) سورة المدثر : ٥٢ .



إلى عظم أمر النبوة وأنها تكون لصاحب الأهلية واللياقة للتلقي عن الله جل جلاله . فلا قيمة للاعتبارات الاجتماعية والمالية والسياسية البشرية .. وإنما العبرة لكل العبرة لنبل الخلق وشرف النفس وصفاء السريرة وطيب الطوية .. وهذا لا يعلمه علم اليقين إلا الله رب العالمين ، فهو يصطفي من يشاء ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ والنبوة رحمة الهية للناس جميعا . فلما قضت حكمة الله ظهورها في زمان ما ، شرف سبحانه بها حسب مشيئته وحكمته من كان أهلاً لها ﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (١) .

أما الذين اقترفوا بتجبرهم وتكبرهم جريمة الاعراض عن رسالة الله ، ودفعهم الغل والحسد الى تنفير الناس من رسالة الله ، فسلكوا ذلك الاسلوب من المكر والخداع والمراوغة ، فانهم لهذه الأوصاف الخسيسة ليسوا أهلاً للنبوة ، ولكنهم جديرون أن يجازوا على تجبرهم وتطاوهم وتعاليمهم بالضد ، بالذل والهوان والتحقير ، ويعاقبوا على مكبرهم وكفرهم بالعذاب الأليم ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ (٢) .

وتقلب مجرمو مكة بين أنواع الكفر ، ومن ذلك زعمهم أن أمر الوحي والنبوة إنما يليق برجل كثير المال عظيم الجاه من مكة أو الطائف . وروي أنهم قصدوا الوليد بن المغيرة من مكة وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف ، وروي أن الوليد بن المغيرة كان يقول :

(١) سورة آل عمران : ٧٤ .

(٢) مفاتيح الغيب ج ١٣ ص ١٧٥/١٧٧ . والكشاف ج ٢ ص ٥٠ وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٧٢/١٧٣ وروح المعاني ج ٨ ص ٢٠/١٧ .

لو كان ما يقول محمد حقاً لنزل عليّ أو على أبي مسعود ، يعني عروة  
التفني . فكشف الله زيف زعمهم بقوله :

﴿ وقالوا لولا نَزَلَ هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٌ .  
أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ! ؟ نحنُ قسمنا بينهم معيشتهم في الحياةِ  
الدنيا ورفَعنا بعضهم فوقَ بعضِ درجاتٍ لِيتَّخِذَ بعضهم بعضاً  
سُحْرِيّاً ورحمةُ رَبِّكَ خيرٌ مما يجمعون ﴾ (١) .

لقد ابتغوا أي زعيم كان من مكة أو الطائف كما يفيد ظاهر  
النص . وتعللوا بهذا العذر مراوغة منهم لدفع حجج النبوة القاطعة  
التي قامت عليهم . وجهلوا أن رتبة النبوة إنما يمنحها الله أزكى الخلق  
قلباً ونفساً وأشرفهم بيتاً وأصلاً ، والعظيم عنده تعالى هو عظيم  
النفس بالترفع عن الرذائل الأرضية والزخارف الدنيوية وبالتحلي  
بكمالات الفضائل القدسية . وأثار الله التكبر على جهلهم والعجب  
الشديد من تحكمهم بالوحي بالقرآن العظيم لمن يريدون باستفهام  
انكاري قوي ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ! ؟ ﴾ وقد أبطل الله  
شبهتهم فذكرهم أنه تعالى قد فاوت بمشيئته وحكمته بين خلقه فيما  
أعطاهم من منافع الدنيا ومناصبها وأرزاقها ، وكذا في العقول  
والمواهب والامكانيات حتى صاروا يستعمل بعضهم بعضاً في  
مصالحهم لقاء أجور ومنافع فيتعايشون ويتراقدون ، فلم يقدر أحد  
من الخلائق على تبديل هذه الطريقة . ولا ريب أن النبوة وما يتعلق  
بها من هداية وإيمان وسعادة في الدارين أسمى من منافع الدنيا

(١) سورة الزخرف ٣١/٣٠ . وأنظر تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٢١٢/٢١٣ ط الشعب .

وزخرفها ﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مَّا يَجْمَعُونَ ﴾ فالدنيا هينة على الله ، وقد جعل لمعيشتها طريقاً تعجز الخلائق عن تغييرها . وأمر الوحي والنبوة والرسالة عظيم عنده تبارك وتعالى ، إذ يجلي به للانسانية الحقائق الالهية ويهديهم الى الشرائع الربانية . فالوحي أجدر بأن يختار الله له داعياً من خيرة الأقسام ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنِ النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ <sup>(١)</sup> ، فكيف يجعل لأحد من خلقه أثراً في توجيه الوحي أو التحكم فيه ؟؟؟

﴿ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ومن أكرمهم الله بالجاء وسعة الرزق وغمره بألوان بره وجب عليه أن يكون أكثر انصياعاً لحكم الله واهتداءً بهدي رُسلِ الله وأبعد عن التحكم والعناد والعصيان .

تلكم آيات بينات ، أكدت أن الوحي أمر الهي محض ، لا أثر لسعي المرء في كسبه أو دفعه . وبالتالي فإن النبوة منحة الهية الزامية غير كسبية ، فلا يناها الانسان بالجهد الفكري أو الترقى الروحي والأخلاقي . ولا عبرة في حصولها للقيم الدنيوية والاعتبارات المادية ، فإن الله جلت عظمتة قد اختص بالنبوة من شاء وفي الوقت الذي شاء حسب مشيئته وحكمته وعلمه ورحمته ﴿ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ

(١) سورة الحج : ٧٥ وأنظر روح المعاني ج ١٧ ص ١٨٨/١٨٧ .

(٢) سورة النحل : ٢ . وقوله تعالى ( بالروح ) : بالوحي ( على من يشاء من عباده ) : على الذين اصطفاهم الله لتلقي الوحي وهم الأنبياء والرسل « انظر للتوسع تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٧٤ ط . الشعب » .

برحمته مَنْ يشاءُ واللهُ ذو الفضلِ العظيمِ ﴿١١﴾ .

## ٥ - قوة يقين النبي بالوحي :

يجب أن نضيف إلى معارفنا عن الوحي رأي الذات المحمدية نفسها فيه . ولا بد لنا في سبيل ذلك من عودة الذاكرة إلى أوصاف هذه الذات . فانها أخلاقية رفيعة ، تنعم بقدر عظيم من الفطنة ورجاحة العقل ، ذات منزهة عن الصغائر والسفاسف ، لا ترقى إليها الظنون وقد سبق الحديث عنها . ثم لننظر علام استقر رأي هذه الذات ؟؟.. وهل تمت قناعتها اعتباراً أم باستخدام كامل الطاقة الفكرية ؟؟..

انطلق فكر محمد ﷺ في دراسة بادرة الوحي الى غايتها تدريجياً ، فروى بذلك نزوع عقله الراجح ، ولّى رغبته الملحة في الوصول الى اليقين في هذه الظاهرة . لقد جاءه الملك في غار حراء فجأة يأمره بفعل ما لا يقدر عليه ( اقرأ ) ثم هو يغطّه ويرسله !! أمر فجائي الزامي خارج عن ذاته ، بعيد كل البعد عن سوانح فكره . راح بحال مضطربة فناجى خديجة بالذي جرى ، وعبر عن عمق تأثره بقوله « لقد خشيتُ على نفسي ؟ » أصدر قوله هذا بداهة ، فجاء اقراراً عفواً دالاً على حقيقة أمره . حدث عجيب لم يعرفه ولم تعرفه خديجة أثار في نفسه التساؤل . فانطلق معها الى ورقة .. ثم فتر الوحي .. ويلوح له الملك على كرسي بين السماء

(١) سورة البقرة : ١٠٥ . وأنظر مفاتيح الغيب للرازي ج ٢٨ ص ٢١٠/٢٠٩ وروح المعاني ج ٢٥ ص ٧٢ - وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٢٦/١٢٧ .

والأرض .. حدث لم يخطر من قبل بباله !! يفرغ الى التندر والتأمل بعداً عنه فيوافيه على الرغم من ارادته .. أدى كل ذلك إلى تنشئة يقينه بالوحي ونموه وتعاظمه . وكانت كل حالة من أحوال الملك شاهداً جديداً على حقيقة الوحي واستقلاله عن ذاته ، وشاهداً على صدوره عن الذات الالهية العلية . لقد استقر به مطاف التعجب والاستفسار إلى هذه القناعة الذاتية القاطعة والمعرفة اليقينية ، وتتوالى عليها الأيام وأحداث الوحي لما تريدها إلا قوة ورسوخاً .

#### ٦ - معارف الوحي فوق مطامح الذات الانسانية وإمكانها :

في بيئة الجهالة القائمة بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام . فجاء قومه بعقيدة وأحكام تنافي ما أقاموا عليه من وثنية وتقاليد عفنة نتنة . وقاوم عقائد القوم بحدة وصلابة حتى أزعجهم وأقلقهم . هذا نهج لا ينصرف اليه ذهن مترعم ، وإنما يحیی الوحي به الى النبي ويأمره بالتزامه ، على الرغم مما يلقي من عنت القوم . عرف ورقة بن نوفل هذه الحقيقة قبل وقوعها فأعلم بها محمداً عليه الصلاة والسلام بقوله : « .. إذ يخرجك قومك ، فقال : أَوْمُحِرْجِيَّ هُم !! قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي .. » وها هم أولاء زعماء الشرك قد مشوا إلى أبي طالب عم رسول الله فقالوا : « يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضلل آباءنا ، فإما أن تكفه عنا وإما أن تُخلي بيننا وبينه » وإذ لم يكف عن دعوته عادوا إلى أبي طالب يتدمرون ثانية حتى قالوا : « .. وإنا والله لا نصبر على هذا

من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين .. » (١) .

فالوحي يُلْقَى إلى النبي عقيدة متميزة ليناهاض بها العقيدة الشعبية السائدة الراسخة ، ويُغَيِّرُ القيمَ والمفاهيمَ وَيَقْلِبُ الأوضاعَ . وهذا أمرٌ لا تستحسنه الذاتُ الانسانية ولا تسعى إليه إن تعلقت بزعامةٍ أو حرصت على جاوٍ .

قال الاستاذ مالك بن نبي : « ويتميز النبي الموحى إليه عن منافسه المحترف - المزور - بمقاومته العنيفة ضد الألوهية القومية التي صارت لبَّ العقيدة الشعبية ، فجميع الاتجاهات الخُلُقِيَّة للنبي الموحى إليه قائمة على أساس الفكرة المتسلطة الملزمة : فكرة اله واحد عام ، يريد النبي أن يُثَبِّت فرائضه الخاصة في شعائر قومه » (٢) .

تنزل البيان القرآني في مكة المكرمة رائعا جليلا قويا في حرب العقيدة الوثنية الشائعة في أرجاء الجزيرة العربية ، ودحض تحريف أهل الكتاب بنسبتهم الولد الى الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً . وجَلَّتْ الاياتُ وحدانية الله وصفاته وأثبتت الوحي الى محمد رسول الله ﷺ وخضوعه لأمر الله ، فجاءت بياناً ربانياً سما على معهود الناس ومعتقداتهم في ذلك العصر ، فتأمل هذا النجم الرباني الزاهر من سورة الأنعام المكية :

﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٢٧٧/٢٧٨ .

(٢) الظاهرة القرآنية ص ٩٧ .

علم سبحانه وتعالى عما يصفون \* بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل \* لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير \* قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ \* وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبيته لقوم يعلمون \* اتبع ما أحيى اليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين \* ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل ﴿١﴾ .

وحمي الوحي وتتابع نزوله بالقرآن ، فتراحمت في وعي الرسول الأمين حقائق الهبة ودينية وتاريخية وكونية واجتماعية لم يخط منها قبل شيئاً في لوحة ادراكه وذاكرته . فكانت خارجة عن اطار ذاته بل عن معلومات عصره أيضاً . اشتمل القرآن على عقيدة الوحداية الصحيحة ودلائلها ، وعلى أركان العقيدة الاسلامية العظيمة ، ثم على أحكام الشريعة الغراء ، وعلى حقائق من التاريخ ممحصة ، تصحح ما ورد في الكتب السماوية الأخرى من زيف وتشويه ، وعلى أخبار غيبية مستقبلية صدقتها وقائع الدهر ، وعلى وعود أنجزها الله لعباده المسلمين .. وغير ذلك من أوجه اعجاز القرآن الكريم (٢) . وكل ذلك أفكار منتظمة في أسلوب منطقي يسهل استيعابه . وان دراسة هذه الأفكار وصلة بعضها ببعض ،

(١) سورة الأنعام : ١٠٧/١٠٠ .

(٢) أنظر أوجه اعجاز القرآن في كتابنا : « بينات المعجزة الخالدة » .

ما تقدم في النزول منها وما تأخر ، لتبرهن على خروجها عن نطاق  
فعالية الذات المحمدية وعبقريتها . وان هذه المعلومات والأفكار  
والأحكام خارجة أيضا عن حدود الفكر الانساني عامة في العصر  
المحمدي ، بل يستحيل أن ينشأ أي فكر انساني على كر الدهور  
ومر العصور . ويكشف ذلك ؛ بدون أدنى ريب ؛ عن صدورها  
عن قدرة الية خلاقه منظّمة <sup>(١)</sup> .

### أخبار الغيب في القرآن والسنة :

تجد في القرآن الكريم والسنة من الغيب الماضي أخبارا عن  
تاريخ الخلق وتاريخ الرسل ومواقفهم ، وعن أناس آخرين من أهل  
التقوى والصلاح مثل أهل الكهف ، وعن آخرين من أهل الطغيان  
كفرعون وهامان وقارون وأصحاب الأخدود .

وتجد من الغيب الحاضر أخبارا عن المنافقين ، تكشفهم  
وتميزهم .. كما تُعرّفك الآياتُ بأوصاف الملائكة المكرمين وأحوال  
أهل البرزخ .. وقد يرد ذلك الخبر الغيبي بقرآن أو سنة .

ومن أخبار الغيب الحاضر التي أوحى الله بها الى رسوله ما كان  
في فتح مكة من مناجاة بين الأنصار ، زعم فيها بعضهم لبعض سراً  
أن الرسول ﷺ - وقد دانت له بلده مكة واستسلم له قومه -  
سيقم في وطنه وقومه ويترك المدينة . قالوا ذلك حرصاً عليه وحسرة  
لفراقه . فأوحى الله إليه وهو على الصفا وبدت عليه مظاهر الوحي

---

(١) قارن بالظاهرة القرآنية ص ٢١٣ .



فشهدها الصحابة . واليك طرفا من حديث الامام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه :

« فجاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ! أبيحت خضراء قريش <sup>(١)</sup> . لا قريش بعد اليوم . ثم قال <sup>(٢)</sup> : « من دخل دار أبي سفيان فهو آمن » فقالت الانصار ، بعضهم لبعض : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته <sup>(٣)</sup> . قال أبو هريرة : وجاء الوحي ، وكان إذا جاء الوحي لا يخفى علينا . فاذا جاء فليس أحد يرفع طرفه <sup>(٤)</sup> الى رسول الله ﷺ حتى ينقضي الوحي . فلما انقضى الوحي قال رسول الله ﷺ : « يا معشر الأنصار ! قالوا لبيك يا رسول الله ! قال : « قلت : أما الرجل فأدركته رغبة في قريته » قالوا : قد كان ذلك . قال : « كلا اني عبد الله ورسوله . هاجرت الى الله واليكم . والحيا محياكم والمات مماتكم » فأقبلوا اليه فيكون ويقولون : والله ما قلنا الذي قلنا الا الضنن بالله وبرسوله . فقال رسول الله ﷺ : « إن الله ورسوله يُصدقانكم ويعذرانكم » <sup>(٥)</sup> .

لقد كثرت الأخبار عن غيب المستقبل في القرآن والسنة ، وكشفت العصور المتتابعة عن تحققها جميعا كما أخبر رب العالمين

(١) (أبيحت خضراء قريش) : استؤصلت جماعة قريش بالقتل وأفيت .

(٢) (ثم قال) يعني رسول الله ﷺ .

(٣) ظنوا ذلك لأنه أمرهم بالكف عن دماء قريش .

(٤) (يرفع طرفه الى رسول الله) : يرفع بصره اليه .

(٥) رواه الامام مسلم في صحيحه - كتاب الجهاد والسير - باب فتح مكة - حديث

١٧٨٠ ج ٣ ص ١٤٠٦ تحقيق فؤاد عبد الباقي . ورواه ابو داود في سننه - كتاب

الخراج والامارة - باب ما جاء في خير مكة . وأنظر جامع الاصول ج ٨ ص ٣٦٧

٣٦٩ وعيون الاثر ج ٢ ص ١٧٥/١٧٣ .

ورسوله الصادق الأمين ﷺ ، من ذلك الاخبار عن انتصار المسلمين وعزتهم مع قلتهم وضعف امكاناتهم وعلى الرغم من كثرة وقوة عدوهم .. والاخبار عن انتشار الاسلام حتى يبلغ مشارق الأرض ومغاربها بعز عزيز أو بذل ذليل ، والاخبار عن عجز البشر الأبدى عن معارضة القرآن ، والاخبار عن تغلب الروم على الفرس بعد أن دحروهم الفرس في هزيمة ساحقة ، والاخبار عن دخول المسلمين مكة المكرمة مهاجرين وأنصاراً . إلى اخبار كثيرة (١) .

كما وعد الله بحفظ كتابه المبين ونصر رسوله الأمين وأصحابه الغر الميامين واذلال من أخرجوهم من وطنهم .. الى وعود كثيرة مطلقة ، ووعود أخرى كثيرة مقيدة بشروط . لقد جاءت أحداثُ العصور بوقوع ما أنبأ به رب العالمين وأخبر ، وبالنجاح ما وعد الله به وتعهده ، فقد صدق الله وعده ، وأعز جندُه ونشر دينه وخذل أعداءه . ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ (٢) .

لقد طرأت معارف الوحي على رسول الله ﷺ ، اذ لم تشغل فكر رسول الله ﷺ من قبل في قليل أو كثير . وجاءت متجاوزة نطاق أبحاث الذات الانسانية فصار مستحيلا اعتبارها من المعارف الشخصية في شيء . ووجب التسليم بأنها معارف الهية تلقائية مطلقة لمواضيع لا يتوصل الفكر وحده الى شيء حقيقي فيها . فجعلت بذلك ثقة النبي بها مطلقة وبقينه بريانيتها كاملا . وقذفت في أفندق العقلاء حوله يقيناً قاطعاً بصحة الدعوة والهيبة الرسالة .

(١) انظر كتابنا « بينات المعجزة الخالدة » ص ٣٢١ - ٣٥٨ .  
(٢) سورة النساء ٨٧ وانظر المصدر السابق ص ٣٥٩ - ٣٦٦ .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ <sup>(١)</sup> ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسُ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ <sup>(٢)</sup>

---

(١) سورة النساء : ١١٣ .

(٢) سورة النحل : ١٠٢ .

## الفصل الثالث

### نقض مزاعم المستشرقين في الوحي

- \* يقين ورقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم .
- \* رحلتان الى الشام سريعتان للتجارة .
- \* قصص الأنبياء وحي الهى خالص .
- \* جبريل ملك الوحي بالقرآن إلى رسول الله .
- \* هيمنة الوحي على رسول الله .



### يقين ورقة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

دأب المستشرقون من عهد بعيد على اتهام سيدنا رسول الله ﷺ بالأخذ عن أشخاص من أهل زمانه . فكان من ذلك زعمهم أنه تلقى عن ورقة بن نوفل . ذهب الى ذلك قديما درمنغام وغيره ، وذهب اليه حديثا البرفسور ( مونتكيري واط ) فقال في أثناء حديثه عن زواج النبي من خديجة : « كما أن خديجة كانت ابنة عم رجل يدعى ورقة بن نوفل بن أسد ، وهو رجل متدين اعتنق أخيرا المسيحية . غالبا وبالتأكيد فان خديجة قد وقعت تحت تأثيره ، ويمكن أن يكون محمد قد أخذ شيئا من حماسة فكرته » <sup>(١)</sup> . وقال : « ويبدو ورقة من بين الذين اتصل بهم محمد لسبب معرفته بكتب المسيحية المقدسة . ولا شك أن المقطع القرآني حين رده محمد يجب أن يكون قد ذكره بما هو مدين به لورقة .

ومن المغربي التفكير بأن هذا كان نتيجة للملاحظة ورقة بصدد الناموس ، ولكن هذا يتطلب تنزلات وحي سابقة على مقطع « اقرأ » ليغذي تلك الملاحظة .

---

Mohammad At Mecca, 39 (١)

ولهذا فن الأسهل « الأيسر » الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات متكررة مع ورقة منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة . وقد تأثرت التعاليم الإسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة . وهذا ما يعود بنا الى طرح مشكلة « العلاقة بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق له » <sup>(١)</sup> .

وتحدثنا كتب الحديث الصحاح عن لقاء تم بين محمد ﷺ وبين ورقة ، بعد أن بلغ من الكبر عتياً ، فعلمي ، وذلك حين تنزل على محمد ملك الوحي في غار حراء . وقد حملت محمداً زوجه خديجة على لقيها ورقة ، ليستفسر عن حقيقة هذا الذي دخل عليه الغار بتلك الطريقة المهيبة « فقالت له خديجة : يا ابن عم اسمع من ابن أخيك ! فقال له ورقة : يا ابن أخي ماذا ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة : هذا الناموس الذي نزل على موسى ، ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حياً اذ يخرجك قومك . فقال رسول الله ﷺ : أومخرجي هم ؟ قال : نعم ! لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرأ مؤزرأ ، ثم لم يلبث ورقة أن توفي ، وفتر الوحي » <sup>(٢)</sup> .

ولا أحب الاقتصار على رواية أصح الكتب بعد القرآن ، وهو صحيح الامام البخاري ، بل أسرد من المصادر التي يحتاج بها المستشرقون عادة ، ومنهم « واط » وهي كتب التاريخ ، وفي

(١) Mohammad At Mecca, 52

(٢) أخرجه الامام البخاري في صحيحه . وقد ذكرناه قبل بتمامه ص ٥٤ - ٥٦ . وروى الطبري نحو هذه الرواية أيضا في تاريخه ج ٢ ص ٢٩٩/٢٩٨ .

مقدمتها : تاريخ الطبري .

ذكر ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في رواية في تاريخه أن خديجة طمأنت زوجها .. ثم قال « فأنت خديجة ورقة بن نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صادقة ، ان زوجك لنبى ، وليلقين من أمته شدة ، ولئن أدركته لأومنن به » (١) .

وروى الطبري في رواية أخرى طويلة أن خديجة بعد أن طمأنت زوجها .. « انطلقت الى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمها ، وكان ورقة قد تنصروا قرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والانجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله ﷺ أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدوس ، قدوس ! والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتني يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر - يعني بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى - وانه لنبى هذه الأمة ، فقولى له فليثبت .

فرجعت خديجة الى رسول الله ﷺ ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم ، فلما قضى رسول الله ﷺ جواره ، وانصرف ، صنع كما كان يصنع ، وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقبه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالبيت فقال : يا ابن أخي ، أخبرني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله ﷺ . فقال ورقة : والذي نفسي بيده ، إنك لنبى هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء الى موسى ، ولتكدبته ، ولتؤذبه ،

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٠٠/٢٩٩ .



وَلَتُخْرِجَنَّهُ ، وَلَتَقَاتِلَنَّهُ . وَلَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لَأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْرًا يَعْلَمُهُ . ثُمَّ أَدْنَى رَأْسَهُ فَقَبَّلَ يَافُوخَهُ ، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى مَنْزِلِهِ « (١) .

« وَقَدْ زَادَهُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ وَرَقَةَ ثَبَاتًا ، وَخَفَفَ عَنْهُ بَعْضُ مَا كَانَ فِيهِ مِنَ الْهَمِّ » (٢) .

وَنَصَتْ رَوَايَةُ ابْنِ سَعْدٍ أَنَّ خَدِيجَةَ ذَهَبَتْ لَوْحَدَهَا إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نُوْفَلٍ ، فَأَعْلَنَ إِيمَانَهُ وَيَقِينَهُ بِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ هُوَ وَحْيُ اللَّهِ ، وَتَعَاهَدَ بِنَصْرَةِ الرَّسُولِ وَتَأْيِيدِهِ . فَلَمْ يَتْرِكْ بِذَلِكَ مَجَالًا لَتَوَهُمِ الْأَخْذِ عَنْهُ وَلَيْسَ أَمْرُهُ لَدَيْهِ عِلْمٌ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى وَهُوَ عَلَى حَافَةِ الْقَبْرِ يَسْتَسِيغُ أَنَّ يَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ فِي أَقْدَسِ الْأُمُورِ . . فِي وَحْيِ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ . جَاءَ فِي رَوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ :

« ثُمَّ أَتَتْ - خَدِيجَةَ - وَرَقَةَ بْنُ نُوْفَلٍ فَذَكَرَتْ لَهُ ذَلِكَ . فَقَالَ : إِنْ يَكُ صَادِقًا فَهَذَا نَامُوسٌ مِثْلُ نَامُوسِ مُوسَى ، فَإِنْ يُبْعَثُ وَأَنَا حَيٌّ فَسَأُعَزِّزُهُ ، وَأَنْصُرَهُ ، وَأُؤْمِنُ بِهِ » (٣) .

### الجمع بين روايات كتب الحديث والسيرة :

أما اللقاء الذي تم بين سيدنا محمد ﷺ وبين وَرَقَةَ فَانْهَ تَمَّ فِي زَمَنِ مُتَأَخَّرٍ ؛ بَعْدَ مَجِيئِ مُلْكِ الْوَحْيِ الْمَرَّةَ الْأُولَى ؛ وَاسْتِثَارَتِهِ عَجَبِ الرَّسُولِ وَاسْتِفْسَارِهِ . هَذَا أَمْرٌ أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْمَصَادِرِ ، لَكِنَّا

(١) وَأَنْظُرْ سِيرَةَ ابْنِ هِشَامٍ ج ١ ص ٣٥٧/٣٥٤ .

(٢) تَارِيخُ الرَّسْلِ وَالْمُلُوكِ ج ٢ ص ٣٠٢/٣٠١ .

(٣) الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى لِابْنِ سَعْدٍ ج ١ ص ١٩٥ ط . بَيْرُوت .

اختلفت في زيارة خديجة لورقة ، هل كانت لوحدها أم بصحبة محمد بن عبد الله ﷺ ؟

وارى أن الجمع بين روايات السيرة ورواية الامام البخاري يفيد أن خديجة ذهبت أول مرة لوحدها ، لتسأل ورقة تأويل هذا الحدث .. ثم ذهبت أيضا مع محمد ﷺ الى ورقة وحضرت هذا اللقاء وشهدته . وإذا كانت رواية ابن سعد قد أوردت زيارة خديجة لورقة منفردة ؛ فإن رواية ابن اسحاق لم تنف هذا الحضور ولم تُثبتته ، بينما جمعت رواية الامام الطبري بين الزيارتين في سياق واحد ، فكانت أوفى تعبيراً عن الحادثة .  
ولا يغيب عن بالك أن خديجة هي المرأة الشهيرة بفطنتها ورزانتها ورجاحة عقلها .

### طريقة ورقة في اعلان يقينه :

لقد استقصى المحدثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة بن نوفل ، مما له سند صحيح وما ليس له سند صحيح ، فلم نثر في رواياتهم على ما يشير الى أنه كان داعية الى النصرانية ، ورواية الامام البخاري وهي أوثق رواية في أوثق مصدر تاريخي وكذا رواية ابن اسحاق لدى الطبري وابن هشام وغير ذلك من الروايات أفادت أن نصرانية ورقة كانت قاصرة على نفسه . ولم تكن لديه حماسة التعليم ولا القدرة عليه والتفرغ له ، وإلا لكان أنشأ مدرسة لها سمعتها ومشاكلها في الحياة الجاهلية الوثنية ، وما تخفى ولا تغيب أخبارها عن أحد أبدا !!

وها أنت ذا تجد أن ورقة يقف مستطلعا نبأ ما حصل لمحمد . ولم يكن ورقة يومها ولا قبلها معلما ولا ملقنا . ولو كان له بعض ذلك لأعلن ابتهاجه بأن غرسه قد أثمر...!! لكنه أعلن أن وصف محمد ﷺ لملك الوحي مطابق لما عنده من صفات ملك الوحي الذي أنزله الله على موسى ، إذ قال له ورقة : « والذي نفسي بيده ، إنك لنبي هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء الى موسى ، ولتكذبته ، ولتؤذيته ، ولتخرجته ، ولتقاتلته ، ولئن أنا أدركت ذلك لأنصرن الله نصراً يعلمه .. » .

أعلن ورقة بصراحة قوية مججلة أن هذا الحدث الهى المصدر والسبب ، خارج عن طاقة « محمد » المخلوق وتصرفه وارادته . وأن مشيئة الله اختارت محمدا ﷺ رسولا الى العالمين دون علم سابق منه ، ودون ارادته أو تطلعه وسعيه .

ولكن لماذا أعلن ورقة أن الملك هو ملك الوحي الذي بعثه الله الى موسى ولم يقل الى عيسى؟! علما بأن ورقة نفسه يقيم على شيء من النصرانية؟

ذهب ابن حجر العسقلاني إلى أن ورقة أعلن بهذا أن الملك الذي لقيه محمد ﷺ في غار حراء هو ملك الوحي الذي أجمع أهل الديانتين « اليهودية والنصرانية » على الايمان بنزوله الى موسى ، ولم يقل ورقة « إنه الذي نزل على عيسى » لأن اليهود ينكرون نبوة عيسى وصلته بوحي الله (١) .

(١) فتح الباري - ابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٢٠ .

قلت : ورأي اليهود هذا معروف في الجزيرة لاستيطانهم بعضها . فلقد احتاط ورقة فنسبَ الملكَ الى موسى ليكونَ أبلغَ في إعلان التيقن ؛ والتأكيد بأنه ملكُ الوحي ، وأقطعَ حكماً بنبوة محمد ﷺ ، وأنفى للشك وأبعد عن الاحتمال والتأويل الذي يجرُّ اليه قذفُ الموضوعِ في لُجة الخلاف بين اليهود والنصارى . وهذا غاية ما يمكن أن يُعبر به ورقة عن يقينه بالهية رسالة محمد ﷺ .

### ونسرد ملاحظاتنا حول المسألة فيما يلي :

#### ( أ ) - النصوص تنفي أي صلة سابقة بين

#### ورقة ومحمد صلى الله عليه وسلم :

إن اللقاء بين محمد ﷺ وبين ورقة بن نوفل قد تم في زمن متأخر بعد مجيئ ملك الوحي المرة الاولى الى رسول الله ﷺ . وقد دلت النصوص على عدم وجود صلة سابقة بين محمد ﷺ وبين ورقة بن نوفل . حتى ان فكرة الاتصال بورقة لم تطرأ على بال الرسول الكريم سعيّاً لازالة الاشكال عن نفسه ! بل كانت الفكرة من اقتراح خديجة . فلو كانت هناك صلة سابقة كما زعم بغير دليل « واط » المستشرق ، لتبادرت الى ذهن الرسول سريعاً فكرة استفتاء ورقة ؟! أما وان الفكرة وليدة خاطر خديجة فأمر طبيعي أن تعلم المرأة من قرباتها وأقربائها أحوال ابن عمها واتجاهه الديني الذي يخالف به أهل الجاهلية . ولكن زعمه أن خديجة وقعت تحت تأثير ورقة ؛ فرغم مجرد لا دليل عليه اطلاقاً ، بل الدليل قائم على عكسه تماماً ، حتى في بعض المصادر التي يعول عليها البرفسور ، ويؤثرها

على كتب الحديث الصحيح التي حوت أضبط الوثائق التاريخية بعد القرآن العظيم . فانظر رواية محمد بن سعد الواقدي في « الطبقات الكبرى » للحدث الأول للوحي ، فانها تدل على أنه لم يكن بين خديجة وورقة زيارة ، اذ جاء فيها : « ثم انطلقت (خديجة) الى ورقة بن نوفل ، وهي أول مرة أتته ، فأخبرته ما أخبرها به رسول الله ﷺ ، فقال ورقة : والله إن ابن عمك لصادق ، وإن هذا لبَدْءُ نبوة ، وإنه ليأتيه الناموسُ الأكبر » (١) .

فقد كان حرباً بمحمد بعد الاشكال الذي حير وأربكه في حراء أن يذهب لِقَوْه الى ورقة قبل أن يذهب الى بيته ليسأل ورقة ويستعين به لو كان ورقة استاذاً قديماً له ، كما زعم « واط » . لكنك ترى حقائق التاريخ مناقضة زعمه من وجوه كثيرة جداً . فما دليله عليه إذن ؟!

من المؤسف حقاً أن الاستاذ « واط » قد قدم زعمه الهزيل بغير دليل ؟! اللهم إلا أن يكون دليله هو مجرد الاحتمال الوهمي أو الافتراض الخيالي الذي أفادته كلماته : « ويمكن .. ويبدو .. فمن الأفضل الافتراض .. » وقد درج الاستاذ « واط » على ايراد أمثال هذه الأدلة في تأييد معظم مزاعمه !! حتى لقبه بعض طلابه « بروفيسور الاحتمالات » . وقد غاب عن فطنته الحادة أنه ليس كل

(١) دلت الرواية على أنه لم تكن زيارة معتادة بين البيتين : محمد وورقة . ولا يمكن حمل عبارتها على ما يخالف هذا المعنى . فان روايات الواقدي لحادثة الوحي - وهذه منها - ليس فيها ذكر اتصال بين الطرفين الا هذا الاتصال الوحيد بواسطة خديجة منفردة مرة واحدة فقط ، فتأمل !! انظر الطبقات الكبرى - محمد بن سعد الواقدي ج ١ ص ١٩٤/١٩٥ طبعة بيروت .

أمر محتمل وقوعه في تصور الذهن والخيال ؛ يعني أنه قد وقع وتحقق حدوثه فعلاً في الواقع المعاصر أو في الماضي الغابر !!

### (ب) - موقف ورقة يدل على ربانية الوحي الى رسول الله :

- ١ - ان ورقة بن نوفل وقف من محمد رسول الله مستظلاً مستفهما كشأن الراهب بحيرى تماماً ! فأين هو التعليم والتلقي ؟!
- ٢ - زدْ على ذلك أنه أنبأ رسول الله بأن قومه المشركين سيكافؤونه على الهداية بالأذى والعداء والاضطهاد الشديد ، وأن حاله معهم كحال رسل الله قبله مع أقوامهم . ويمضي ورقة في اعلانه إلهية هذه الرسالة وبقينه بها ، فيندفع على كبر سنه بالتطوع للتضحية مناصرة لدعوة الله ورداً لأعدائها الكائدين .
- ٣ - إن ورقة نفسه لم يدعِ النبوة ، ولم يطلب لنفسه مكانةً واعتباراً في الدعوة الجديدة كدليل ومرشد لها ... !! أرايت لو كان ورقة مصدر معارف محمد ﷺ ، أكان يقف منه موقف التابع المصدق المؤيد المناصر ... !! ؟!

### (ج) - موقف قريش يثبت عزلة

محمد صلى الله عليه وسلم عن ورقة :

إن قريشاً لم تتوان لحظة في تصيد أدنى مطعن محتمل وتوجيهه الى رسول الله ﷺ .. فقد بالغت في ذلك وأفرطت حتى زعمت أنه مجنون . وزعمت أنه يعلم من فتى أعجمي رومي رقيق لديهم !

فلو كان هناك أقل قدر من التواصل بين محمد وورقة لافترسته قريش ولبت مزاعمها عليه . ومثل هذه الصلات الدينية لا تحفى في مجتمع وثني ريفي قديم ضيق مكشوف بعضه تجاه بعض ... !! لكن قريشاً مع إفراطها في العداء والبهتان ، لما لم تُورد شيئاً من هذا القبيل دلّ ذلك على عدمه أصلاً ، وعلى أن القول به باطل مفضوح لا طائل وراءه !! بل لو كان شيء من ذلك محتملاً احتمالاً لمالت قريش على ورقة ليعلم شبابها ، فيناهضوا بذلك دعوة محمد صلى الله عليه وسلم .

## ( د ) - إسلام ورقة ووفاته من دلائل وحي الله الى رسوله :

وها هو ذا ورقة يموت « ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن تُوفي وفتر الوحي »<sup>(١)</sup> فمن أين لمحمد - بعده - تلك العلوم يتلو بعضها بعضاً أكثر من عشرين سنة ؟! وهذه الرواية جملة من وثيقة تاريخية ثابتة في صحيح الامام البخاري . وهي في منهج نقد الأخبار راجحة على كل ما يعارضها من الأخبار . نظراً لثبوتها بدراسة دقيقة في السند والمتن .

وجمهور المؤرخين والمحدثين وكتاب السيرة يعولون على هذه الحقيقة . وهي وفاة ورقة سريعاً بعد هذا اللقاء . دل على ذلك لفظ الرواية ( ثم لم ينشب ) والمعنى : لم يتعلق ورقة بشيء من الأمور حتى مات . وهذه اللفظة ( ينشب ) يعبر بها العرب عن السرعة

(١) آخر حديث البخاري وقد مر بك كاملاً ص ٥٤ - ٥٦ - لم يَنْشَبْ : لم يلبث .

ويبدو من جميع الروايات أن ورقة كان يدرك أنه مشرف على أجله لفرط هرمه ووهن عظمه . ففي حديث البخاري أنه قال للرسول الكريم ﷺ « ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك .. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً » . وهذا النص الوثيق أورده « واط » نفسه في كتابه .. فانه من رواية الزهري التي عول عليها . لكن كتب التاريخ لم تتبع منهج النقد الدقيق للأخبار كما حصل في كتب الحديث . فرواية الزهري عند البخاري فيها « ثم لم يَنْشَبْ ورقة أن توفي وفتر الوحي » . وما قبلها دليل عليها يقتضي حصول مضمونها . فما وجه تكذيب « واط » بهذه الفقرة ؟

إن الكاتب المذكور زعم أنها زيادة لا أصل لها ، وأنها أضيفت لتبرير موقف ورقة وعدم إسلامه فيما بعد ، إذ قال : « وأما بقية القصة من ناحية ثانية ، فهي تبدو كأنها محاولة لتفسير السبب الذي من أجله لم يصبح ورقة مسلماً على الرغم من موافقته . وهناك بعض الروايات التي تجعل موته بعد سنتين أو ثلاث من رسالة محمد »<sup>(٢)</sup> ولا يغيب عنك أن ورقة قد أشهر تصديقه ، فإذا احتاج أكثر من ذلك لإعلان إسلامه !؟ هل كان عليه آئذ أن يذهب الى الكنيسة ليحذف اسمه من سجلاتها ..؟ أم كان عليه أن يحصل على صك يُبرؤ ذمته من المسيحية ، بعد أن عبث فيها رجال الكنيسة ، وحرّفوا كلام الله وتنكروا لبشارات السيد المسيح بخاتم المرسلين

(١) انظر فتح الباري ج ١ ص ١٥ وعمدة القارى للعيني ج ١ ص ٥٣ .

(٢) Mohammad At Mecca, 51



محمد عليه الصلاة والسلام ؟!!  
ثم أن الاستاذ « واط » عول على رواية شاذة أفادت أن ورقة  
عاش بعد نحو ثلاث سنين . أقول : حسنا ! لو افترضنا ذلك  
افتراضا فإن الدعوة كانت سرية تماما ، كما ذكر « واط » نفسه في  
نفس الكتاب<sup>(١)</sup> ! فما يشعر الناس بكتان الرجل اسلامه أو بعدم  
اسلامه أيضا .. ؟!

ولو فرضنا أنه عاش بعد ولم يعلن اسلامه ، فما الذي يدعو  
المسلمين للكذب والاختلاق ومخالفة شرع الله ؟! أليس هناك  
قساوسة وأخبار وفصحاء عرب ، عرفوا رسالة النبي ﷺ واعجاز  
القرآن وصرحوا بذلك ثم لم يؤمنوا<sup>(٢)</sup> .. فهل افترى المسلمون شيئا  
في حقهم لتبرير عدم اسلامهم ؟! حاشا أمة الاسلام من ذلك ! أم  
كان المسلمون عاجزين أن يقولوا : غلبه الحسد وطغت عليه  
العصية فاستكبر وأبى كما فعل غيره ؟!

وإذا كان غرضهم تبرير عدم اشهار ورقة اسلامه ، فما كان  
يمنعهم أن يقولوا عبارة أقوى وأبلغ في الدعاية للاسلام ؟! ما  
منعهم أن يقولوا : إنه أسلم وعاش في الاسلام ثلاث سنوات ، كما  
يُأسلم من هو أعلم منه بكثير . وهو خبر اليهود في المدينة ، عبد الله بن  
سنان . إذ أسلم ، واستكتم الرسول اسلامه حتى يسأل اليهود عن  
سنتهم .

(١) Mohammad At Mecca, 58

(٢) كالوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة من المشركين وكالعاقب عبد المسيح والسيد صاجي  
نصارى نجران . [ أنظر كتابنا « بينات المعجزة الخالدة ص ١٨٢/١٧٨ » و« نبوة  
محمد ص ٢٤٠ » ] .

مكانته فيهم . فلما أقروا بها أشهر إسلامه أمامهم !! (١) .  
وما منعهم أن يقولوا : إن ورقة أسلم في مرحلة الدعوة السرية  
- وتوفي أثناءها - وأنهم رأوه يصلي خلف رسول الله ﷺ مع علي  
وخديجة في بيت ابنة عمه خديجة ذاتها .. ؟!! ما منعهم أن يزعموا  
ذلك لو كان رائدهم شيئا من الدعاية أو التبرير ؟! فان مثل هذا  
أجدى وأقوى .. أليس كذلك ؟! فالمسألة تحتاج الى فهم  
وعقل .. !!

ان الاختلاق والكذب وتزوير الحقائق والتبديل في الدين انما هو  
من أخلاق وشيم أمم أخرى ؟! حتى زعمت فئة من النصارى أن الله  
الواحد هو ثلاثة ، وأن الثلاثة واحد ، فالواحد والثلاثة شيء  
واحد ؟!! وان تلك الفئة تقترف مثل هذا في دينها ثم تحاول أن  
توهم أبناءها حصوله في أمة سيد المرسلين . صلوات الله وسلامه  
عليهم أجمعين .

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه : وصدق ما يعتاده من توهم  
والواقع أن الوحي الأول علّم هاماً من أعلام نبوة الرسول

(١) جاء في حديث الامام البخاري - كتاب الأنبياء - باب خلق آدم - أن عبد الله بن  
سلام لما أسلم قال : « يا رسول الله ! إن اليهود قومه بهت » . فإن علموا بإسلامي قبل  
أن تسألهم بهتوني عندك . فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت . فقال رسول الله  
ﷺ : أي رجل فيكم عبد الله بن سلام ؟ قتلوا : أعلمنا وابن أعلمنا . وأخبرنا  
وابن أخبرنا . فقال رسول الله ﷺ : أنتم إن أسلم عبد الله ؟! قالوا : أعاده الله  
من ذلك !! قال : فخرج عبد الله اليهم . فقال : أشهد أن لا اله الا الله .  
وأشهد أن محمداً رسول الله . فقالوا : شئت وابن شئتنا . ووقعوا فيه « والبيت :  
بضم الباء : الكذب والافتراء . وقوم بيت : جمع بهوت . من بناء المبالغة في  
البهت . انظر النهاية لابن الأثير وجامع الأصول ج ١٢ ص ٩٧/٩٨ .

الكریم ﷺ ، وبرهان ساطع من براهين صدقه والوحي اليه . لكن « واط » أراد اغفال ذلك كله بدون ضجيج ، وبدون تكذيب فاقع يلفت الانظار أو يثير السخط العميم والغضب العظيم في المسلمين . لذا لم يجب « واط » على دلالة الحديث الحتمية بشئ ، انما حول الأنظار عنها ببراعة احتيالية فائقة ، فزعم أن بقية قصة نزول ملك الوحي زيادة أضيفت فيما بعد ، لتبرير عدم اسلام ورقة . اذن علينا - في زعمه - أن نرفض هذه الرواية لهذا السبب ، وعلينا لسبب آخر مشابه « لا يعرفه القارئ لأول وهلة ولم يذكره المؤلف اذ يجتمل أن يكون في كلامه هنا توجيه لبني قومه بالاشارة مع حرصه على عدم اثاره سخط المسلمين أو انتباههم الى تغرض تخطيطه .. » علينا - في زعمه - أن نعول على أي نص يجمع بين ورقة ومحمد ، لماذا ؟ لأنه أفضل من النص الذي يجعلها لا يلتقيان !!

ولكن ما قيمة النص الذي يجمع بينهما - حسب دعواك - وهل هو وثيق ؟! وما طريق توثيقه ؟! وما سبب ترجيحه ؟! وما وجه أفضليته من ناحية البحث العلمي الموضوعي الحيادي ؟! ثم أين هو هذا النص ؟؟!

تأمل النهج العجيب الذي سلكه « واط » في بحثه الموضوعي الحيادي !! تأمله في قوله : « وأما بقية (قصة الوحي في غار حراء) من ناحية ثانية فهي تبدو كأنها محاولة لتفسير السبب الذي من أجله لم يصبح ورقة مسلماً على الرغم من موافقته لمحمد ، ولسبب مشابه ، فإن النص الذي يجمع بين محمد وورقة أفضل من

النص الذي يجعلها لا يلتقيان ..» (١)

## (هـ) - الكذب على سيرة رسول الله من منهج المستشرقين :

أفادت الروايات أن الصلة بين ورقة ومحمد ﷺ إنما حصلت بعد أن جاءه الملك في غار حراء . لكن الباحث الغربي « مسيحيا كان أم يهوديا أم ملحدًا » يحسب أن هذه الحادثة فرصة عظيمة للطعن في نبوة الرسول ، إذ أثبت اللقاء .. وهي رواية تاريخية وثيقة معترف بها عند المسلمين في أوثق مصادرهم ، فهي مغربة حقا أن تستغل تماما من وجهة نظر الباحث الغربي المغرض !!

غير أن البحث الحيادي التزبه يورد على المستشرقين اعتراضا فإن هذا اللقاء إنما تم بعد نزول الوحي على محمد فعلا ! مما يفيد أنه لا علاقة لورقة به ولا تأثير لآرائه في حصوله قبل هذا اللقاء على الأقل !! وهذا استنتاج موضوعي حتمي ملزم ! فثبت بالتالي صدق محمد ﷺ في تلقيه الوحي الأول ، وصدقه أيضاً فيما تلاه من الوحي ، فقد منحه الله النبوة بالوحي الأول . أضف إلى ذلك أن ورقة قد وافاه أجله سريعا !!

لذا نبه « واط » الباحثين الغربيين أن لا يستدلوا بهذه الرواية ذاتها ، فإنها لا تخدم مآربهم وأغراضهم - وإصدار التوجيهات للغربيين من مقاصد « واط » الأساسية في كتابه - فمن الأفضل

لهم ، في نظر الكاتب « الحيادي الموضوعي » ، أن يستدلوا بافتراض محض « اختلاق » لا أصل له في التاريخ إطلاقاً !! أرشدهم الى ذلك بقوله : « ولهذا فمن الأفضل الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلوات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة .. » <sup>(١)</sup> « فان النص الذي يجمع بين محمد وورقة أفضل من النص الذي يجعلها لا يلتقيان » <sup>(٢)</sup> .

أي منهج في تحقيق الأخبار التاريخية جعل هذا الافتراض أفضل ؟! وهل لديك أنت وأضربك منهج في البحث العلمي أصلاً ؟! ثم ما وجه الأفضلية ؟! لا يرى العاقل لها وجهاً الا التعنت في إعظام شأن المسيحية المشوهة ، وفي اتهام الرسول الكريم جزافاً واعتباطاً بأنه اقتبس منها عن طريق ورقة .. !! فأين ما وعدت في مقدمة كتابك أن تبحث بشكل حيادي وموضوعي كمؤرخ .. ؟! ثم أين منهجك التاريخي لننظر فيه ولنحتكم اليه عند سلامته ؟! أين ؟! أين ما وعدت به ؟! .

فتأمل أيها القارئ النبيه هذا النموذج الهائل من الموضوعية !! وهذا المنهج العلمي الفائق ! وهذا الحياد النزيه في البحث !! تأمل هذا كله قبل أن يبلغك أن ديانة البروفسور العظيم هي المسيحية ،

(١) مريك النص بتمامه في مطلع حديثنا عن ورقة .

(٢) النص بتمامه قد مريك قبل صفحات . وجاء في بيان المستشرق المسلم « ناصر الدين دينيه » أن هؤلاء المستشرقين يعمدون الى هدم بعض الاخبار الصحيحة : تأكيداً لأرائهم وعصبيتهم ثم يعمدون الى بناء - وبالأحرى الى اختلاق « أخبار تحمل محل ما هدموه . وما أنت ترى تطبيق ذلك بأمر عينك ! فافهم !! « محمد رسول الله - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ٥٦/٥٧ »

وأنه في الحقيقة - التي يخفيها - قسيس في كنيسة انكليزية !! لقد عرفه بذلك الطلاب المسلمون النابوهن الذين درسوا في جامعته .

## ( و ) - خدمتهم ضلالات الكنيسة بالاختلاق على الرسول زوراً وبهتاناً :

ماذا قصد المؤلف من زعمه استمرار حياة ورقة ثلاثة سنين بعد الوحي الأول ومن اختلاقه اتصالات دينية تلقى فيها محمد من ورقة منذ وقت مبكر؟؟ ان بيت القصيد من هذه المزاعم وأمثالها هو الايهام بأن الاسلام فيه كثير من أفكار ورقة ، ولكن أفكار ورقة المتنصر مستمدة من الكتاب المقدس ( التوراة والانجيل ) المقرر لدى الكنيسة ، اذن الاسلام مقتبس من المسيحية . وهذا ما يعبر المستشرقون المحدثون عنه : بالعلاقة بين الديانتين الاسلامية والمسيحية أو بين الوحيين كما قال « واط » وهنا :

« ولهذا فمن ( الأفضل ) الافتراض بأن محمداً كان قد عقد صلات مستمرة مع ورقة بن نوفل منذ وقت مبكر وتعلم أشياء كثيرة . وقد تأثرت التعاليم الاسلامية اللاحقة بأفكار ورقة !! وهذا ما يعود بنا الى طرح مشكلة العلاقة بين الوحي الذي نزل على محمد والوحي السابق له » (١) .

---

(١) Mohammad At Mecca, 52 وقد ورد في تقرير ( الكونت هنري دي كاستري ) أن هؤلاء المستشرقين - يفتقدوا تحليل الحقائق التاريخية بل قصدوا حفظ روح البغضاء في نفوس أقوامهم وخدمة المقصد المسيحي الحكيم - حسب زعمهم - لذلك لجأوا الى السب والشتم والتحريف في النقل « راجع : محمد رسول الله - مقدمة الدكتور عبد الحليم محمود ص ١٥ »

لا ريب ان هذا الزعم يحتاج الى دليل فان المقارنة الموضوعية بين التعاليم الاسلامية والمسيحية التي تكشف عن التأثير أو عن الاقتباس ؟! كلام بدون دليل مصيره الابهال !! ان مقارنة المعلومات عند الطرفين تكشف استحالة اقتباس الاسلام من تلك الديانة شيئاً ! لكن ما موقف القارئ العاقل من اصدار المستشرق « واط » هذا الحكم اعتباطاً ؟! لا شك أنه سيعطي الكاتب وأمثاله رتبهم الحقيقية ويعرف مستوى أبحاثهم وحقيقة أغراضهم ؟؟! فالثقف العادي من المسلمين يدرك يقيناً أنَّ الاسلام يختلف جذرياً مع المعترف به عند أهل الديانتين اليهودية والمسيحية ؟! والاختلاف قائم على أشده في العقيدة والشرعة والأخلاق والقصاص !! ولعل الله ييسر لنا إعطاء القارئ صورة مناسبة عن ذلك في المستقبل . والله ولي التوفيق .

### ( ز ) - منهجهم في ترك مصادمة مشاعر المسلمين والتزام الاحتمالات الوهمية :

إن القسيس المستشرق « واط » له طريقة خاصة باتت هي الطريقة الحديثة المفضلة لدى المستشرقين . وهي عدم مصادمة مشاعر المسلمين مباشرة . لذا لجأ الى طمأننتهم في مقدمة الكتاب أنه سيكتب بشكل موضوعي وحيادي كمؤرخ وانه لن يعارض العقائد الاسلامية الأساسية .. ثم راح يتدرج بهدؤ ليصل الى غرضه . وقد اتبع في ذلك منطق المغالطة في الاستنتاج وهو منطق مرفوض في شتى صنوف البحث العلمي . والباحث النبيل يلحظ أن الكاتب قد

أعطى النتيجة التي يريد بها بعد مقدمات احتمالية وهمية ، تظهر في قوله : « غالباً ، وبالتأكيد ، ويمكن ، ويبدو » ثم أُلْبِغَ ذلك بالنتيجة التي يقصدها مسبقاً ، فقال بصيغة الجزم واليقين : « ولا شك أن المقطع القرآني حين رددته محمد يجب أن يكون ذكره بما هو مدين به لورقة » .

ثم انظر قوله : « فن الأفضل الافتراض .. » وتأمل كيف ابتنى نتيجة قطعية على تلك المقدمة الموهومة المفترضة ، إذ قال : « وقد تأثرت التعاليم الاسلامية اللاحقة كثيراً بأفكار ورقة !! »<sup>(١)</sup> .

فكيف ينتج اليقين من الافتراض والاحتمال الوهمي الذي لم يؤيد بدليل ولم يقيم على صحته برهان ؟! ان المقرر في أصول العلوم كلها أن النتيجة تتبع أضعف المقدمات وأوهاها . فلو كانت جميع المقدمات قوية الا واحدة ضعيفة لجاءت النتيجة ضعيفة بغير شك ! لكن العبقرية الحارقة في أبحاث « واط » وأمثاله تستخلص اليقين الذي لا شك فيه من مقدمات الوهم والخرص !! وان لم يكن هذا من منبع عقلية التثليث فهو من منبع المكر والاختلاق ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾<sup>(٢)</sup> .

وسبق أن أشرنا الى أن هذا المسلك من جملة طرقهم الكثيرة التي اتبعوها في أبحاثهم وأدت الى اختلال منهجهم وفساده ومخافاته لكل منطوق علمي مقبول !!<sup>(٣)</sup> .

(١) Mohammad At Mecca, 39-52

(٢) سورة الأنفال : ٣٠ .

(٣) تقدم بحثنا : اختلال منهج البحث الاستشرافي ص ٢٩/٣٢ فقرة ٩ .



## (ح) - الحقائق التاريخية تفضح تحريصات المستشرقين بشأن ورقة :

ان مكة مجتمع أمي صغير ، وأحوال الفرد فيه مكشوفة لجميع أفرادها ، سافراً وإياباً ، عملاً وتعلماً .. يستحيل إخفاؤها ومنع اشتهاها . فان اخبار الأفراد تسري في المجتمعات الصغيرة سريان النسيم ، حتى تبلغ آحادهم من شقوق الأبواب والنوافذ ..

فلو كان محمد الصادق الأمين عليه السلام زاول التعلم من بشر لظهرت عليه آثاره ، ولعرف قومه أخباره ، ولاحتجوا عليه بذلك . كيف لا ؟ وهم قد اختلقوا تهمة التلقي من فتى رومي حداد مملوك !! فلو توهموا أدنى احتمال للقاء مع ورقة والتلقي منه لما قوّتوا تلك التهمة الباطلة لتبرير موقفهم ، وكيف يدعونها الى توهم أشد منها ضعفاً ، وهو الأخذ عن قين رومي جاهل ؟؟؟

وان في امتناعهم عن قذف الرسول الكريم بتهمة اللقاء مع ورقة والتلقي منه قرائن قوية تؤكد وفاته مبكراً في مطلع بعثة النبي صلى الله عليه وسلم . وقد جلى القاضي عبد الجبار رحمه الله بعض هذه الحقائق ، إذ قال : « ونحن وان لم نكن في زمانه صلى الله عليه وسلم ، فقد علمنا أنه ما قرأ هذه الكتب ولا اكتتبها ولا اختلف الى أهلها ولا اختلفوا اليه .. ولا تلقى ذلك عن أحد من الناس ، لأنه ما من أحد يطلب فناً من الفنون الا وله في ذلك تارات وطبقات . فأول ذلك أن يكون طالباً أو سائلاً عن عنده هذا الادب وهذا الفن من العلم والأدب ، ثم يختلف الى أهله ويصحبهم فيكون تارة مبتدئاً ، ثم متوسطاً ثم ماهراً متقدماً . وكل هذه الأحوال معروفة معلومة لأهل زمانه ، لا يجوز

أن يذهب عليهم ، ولا يجوز أن يُخفى ولا يُكتم عن أحد كائنا من كان <sup>(١)</sup> .

ان ظهور تلك العلوم الالهية العظيمة الجليلة المعجزة للبشر على محمد ﷺ مع أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب ، لم يتلق من عالم ولم يطالع في كتاب شيئا ، يُثبت يقيناً أن القرآن العظيم وحيُّ الهي مستقل عن ذات محمد ﷺ مستعل على امكاناته بل على امكانات جميع البشر .

﴿ وما كنتَ تتلو من قبله من كتابٍ ولا تَحُطُّه يمينك إذا لارتابَ المبطلونَ بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدورِ الذين أُتوا العلم وما يجحدُ بآياتنا الا الظالمون ﴾ <sup>(٢)</sup> .

والأظهر في قطعية هذه الدلالة أن تلك العلوم العلوية لم تأت أفكاراً في مراتب وأطوار على عادة العلماء المفكرين من البشر ، انما جاءت رسول الله ﷺ دفعة واحدة ، كما هي ، في أسلوب يُعجز الأولين والآخرين . قال الامام فخر الدين الرازي :

« انه عليه السلام كان قبل اظهار دعوى الرسالة والنبوة ما كان يشرع في هذه المسائل ، وما كان يبحث عنها ، وما جرى على لسانه قط حديث النبوة والرسالة . والذي يدل على صحة قولنا أنه لو اتفق له شروع في هذه المطالب والمباحث قبل اظهار ادعاء الرسالة والنبوة لقاتل الكفار له : انك أفنيت عمرك في التدبر والتأمل

(١) تثبيت دلائل النبوة - القاضي عبد الجبار المتوفي سنة ٤١٥ هـ ص ٨٧ طبع دار العربية بيروت .

(٢) سورة العنكبوت : ٤٨/٤٩ .

وتحصيل هذه الكلمات حتى قدرت الآن على اظهارها . ولما لم يذكر هذا الكلام أحد من الاعداء مع شدة حرصهم على الطعن فيه وفي نبوته ، علمنا أنه عليه السلام ما كان شارعا قبل اظهار النبوة في شيء من هذه العلوم . ومعلوم أن من انقضى من عمره أربعون سنة ولم يخض في شيء من هذه المطالب العلمية . ثم أنه خاض فيها دفعة واحدة وأتى بكلام عجز الأولون والآخرون عن معارضته .. فصريح العقل يشهد بأن هذا لا يكون الا على سبيل الوحي والتزيل <sup>(١)</sup> .

قال الله تعالى : ﴿ قل لو شاء الله ما تلوثة عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عُمُرًا من قبله أفلا تعقلون ؟! ﴾ فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون <sup>(٢)</sup> .

### رحلتان إلى الشام سريعتان للتجارة

أثيرت جلبة حول رحلة محمد ﷺ إلى بلاد الشام ، فقد فسرها المستشرقون بالاتجاه الذي حددوه لأنفسهم وهو الطعن في نبوة رسول الله ﷺ . وحسباً لمادة النزاع نعود إلى تاريخ رحلته في أقدم كتب السيرة والتاريخ ، الكتب التي يرتضونها . واليك زبدة ما جاء فيها :

#### ١ - الرحلة الأولى :

لما بلغ محمد ﷺ ثمانين سنين توفي جده عبد المطلب بن هاشم ،

(١) الاربعين في أصول الدين ص ٣١١/٣١٢ .

(٢) سورة يونس : ١٧/١٦ .

فتكلفه عمه أبوطالب . ثم أزمع أبوطالب الخروج في تجارة الى الشام مع الركب فتعلق به رسول الله ﷺ وهو ابن تسع سنين<sup>(١)</sup> . فسافر به عمه . فلما نزل بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بحيرى في صومعة له ، وكان اليه علم أهل النصرانية ، فلما أقبلوا لينزلوا قريبا من صومعته رأى غمامة تظله من بين القوم . ثم أرسل بحيرى اليهم فقال : اني قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش ، فأنا أحب أن تحضروا كلكم ! فقال له رجل منهم : والله يا بحيرى ان لك شأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا ؟ قال بحيرى : صدقت ! ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم .. وتخلف رسول الله من بين القوم لحداثة سنه في رحالهم تحت الشجرة . فلما تفرس بحيرى في وجوههم ولم ير الصفة التي يعرف عنده قال : لا يتخلفن أحد منكم عن طعامي ! قالوا : ما تخلف أحد الا غلام صغير في الرحال ، قال : ادعوه فليحضر .

« فلما رآه بحيرى جعل يلحظه لحظا شديدا ، وينظر الى أشياء من جسده ، وقد كان يجدها عنده من صفته ، حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرى فقال له : يا غلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، وانما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قومه يحلفون بهما ، فزعموا أن رسول الله ﷺ قال : « لا تسألني باللات والعزى شيئا ، فوالله ما أبغضت شيئا قط بغضهما » فقال بحيرى : فبالله الا ما أخبرتني عما أسألك عنه ، فقال

(١) عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - ابن سيد الناس ج ١ ص ٤٠ طبعة بيروت .

له : « سلني عما بدا لك » فجعل يسأله عن أشياء من حاله ، من نومه ، وهيبته وأمره ، فجعل رسول الله ﷺ يخبره ، فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفته ، ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التي عنده <sup>(١)</sup> .

( قال ابن هشام : وكان مثل أثر المحجم ) .

قال ابن اسحاق : فلما فرغ أقبل على عمه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، قال له بحيرى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون ابوه حيا ، قال : فانه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به . قال : صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده ، واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا ، فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فأسرع به الى بلاده ، فخرج به عمه ابوطالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام » <sup>(٢)</sup> .

## ٢ - الرحلة الثانية :

« قال ابن اسحاق : وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها ، وتضاربهم اياه بشيء تجعله لهم ، وكانت قريش قوما تجارا ، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها : من صدق حديثه ، وعظم أمانته ، وكرم أخلاقه ،

(١) تحدثت عن خاتم النبوة في كتابي : نبوة محمد ﷺ في القرآن ص ٢٣٧ .  
(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٨٠ و ١٩٤/١٩٦ وتاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٢ ص ٢٧٧/٢٧٨ وأنظر الطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٢١/١٢٠ .

بعثت اليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها الى الشام تاجرا ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له : ميسرة ، فقبله رسول الله ﷺ منها ، وخرج في مالها ذلك ، وخرج معه غلامها ميسرة ، حتى قدم الشام .

ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة .. » وجاء في الطبقات الكبرى : « .. فخرج مع غلامها ميسرة ، وجعل عمومته يوصون به أهل العير ، حتى قدما بصرى الشام ، فتزلا في ظل شجرة ، فقال نسطور الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي ، ثم قال لميسرة : أفي عينيه حمرة ؟ قال : نعم ! لا تفارقه ، قال : هو نبي ، وهو آخر الأنبياء » (١) .

وهذا الخبر واطلال الملكين رسول الله في سفره المذكوران في الكتب الثلاثة بصيغ متقاربة (١) .

### تقولات المستشرقين عن رحلات وهمية الى الشام

زعم درمنغام ورينيه وغيرهما أن محمدا ﷺ قد اقتبس الأفكار الدينية من رحلاته الى الشام . وزعم درمنغام أنه مرّ مع القافلة بمدين ، وهي بلدة في سيناء فأخذ عن رجالها العلم (٢) . لا ريب أن هذا الزعم وأمثاله لتي استنكارا عاما من المسلمين ،

(١) السيرة النبوية ج ١ ص ٢٠٣ وتاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٢٨١/٢٨٠ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ج ١ ص ١٣٠/١٣١ .

(٢) الوحي المحمدي - رشيد رضا ص ٧٤/٧١ . طبعة خامسة بمصر .

وكانت تظهر آثار الصدمة في نفس كل مسلم يقرؤه لأول وهلة ،  
فيتبدى النور من القول وصاحبه ومن كتاباته كلها عن الاسلام ..  
لما حصل هذا بوضوح وظهر أن هذه الطريقة الاستشرافية في الكتابة  
عن الاسلام « المصادمة للمشاعر والحقائق مباشرة » طريقة عقيمة ،  
لا تخرج مسلماً عن دينه ولا تقنع غريباً بوجهة نظر أئمة الاستشراق في  
بلده . لذا عمدوا الى أساليب أرق وأمكر وأدخل على النفس . وقد  
بلغ الذروة فيها الدكتور مونتكمري واط . تأمل نشره نفس الفكرة  
ولكن بأسلوب الاحتمال والتشكيك ، فقد ذكر « واط » الرحلة مع  
أبي طالب ثم مع ميسرة ثم قال « واط » :

« وربما لم تكن خديجة ثرية جداً كما ذكر أحياناً - غير أن محمداً  
أصبح يملك رأس مال كافياً ، ليشترك بقدر في الاعمال التجارية .  
في الحقيقة ليس هناك تسجيل أنه قد رحل من جديد الى  
سورية « يعني بعد زواجه من خديجة » ولكن هذا لا يعني أنه لم  
يوحل . ويمكن أن يكون قد كلف رجالاً له بالاشراف على  
أعماله » (١) .

وظفقت في زماننا فئة من مرضى القلوب من الكتبة تحطب في  
حبال المستشرقين ، وقد استنارت في اتخاذ آرائها بحوالك  
الاستشراق . ظهر من هؤلاء الكتبة حاطب ليل في بلادنا ، نشر  
كتابه المادي المفصوح : « محمد رسول الحرية » وكما يقول الناس  
« المكتوب يُعرف من عنوانه » . أفاض الكاتب في خدمة سادته

---

(١) Mohammad At Mecca. 38

قائلا :

« ولكن أبابكر لم يعد صغيرا .. فهو الآن يا محمد قد جاوز الثلاثين مثلك ، وقد خرج معك في كل رحلاتك يتاجر بماله » <sup>(١)</sup> .  
« أدركتما كل شيء معا ، وضقتما معا بأسلوب الحياة في مكة ، ومضيت أنت تتأمل ، ولكن أبابكر مضى يقرأ فيما انتهى اليه من كتب الأولين ! .. ما أسعده فقد أتاحت له الحياة أن يتعلم القراءة والكتابة منذ الصغر ، على عكسك أنت ! .. وما زال أبوبكر يقرأ ويحفظ كل ما ينتهي اليه . ويحول رحلاته التجارية الى فرص لمزيد من الاطلاع حتى أصبح اليوم أكثر فتيان قرش ثقافة .. وانك لفخور به » <sup>(١)</sup> .

« لقد طالما تحدث محمد بن عبدالله مع صديقه أبي بكر بن ابي قحافة ، في هذا كله ، ولقد رحلا معا ، وعانيا معا ، وشاهدا الرهبان والكهان في بلاد بعيدة ، وسمعا معا من الأخبار .. » <sup>(٢)</sup> .

### زيف زعمهم ترحال النبي الى الشام بعد الزواج :

١ - لا بد للباحث حين يقرأ صحف التاريخ أن يلاحظ الفوارق الشاسعة بين العصور الغابرة والأيام الحاضرة .. وذلك من نواح متعددة من الحياة الانسانية . فلا بد من اغفال كل الوسائل الحديثة حين التفكير في الماضي .. ولا بد أن يأخذ الباحث بالحسبان ما يترتب على ذلك من نتائج . وما أكثر وما أخطر ما يترتب على

(١) محمد رسول الحرية - ص ٤٨ - سلسلة كتاب الهلال .

(٢) نفس المصدر ص ٥٣ .



ذلك !!؟ خذ مثلاً وسائل المواصلات في عصرنا ، فلعل طائرة تنقلك في ساعة واحدة من الجزيرة العربية الى أوائل بلاد الشام «سورية الطبيعية» . بينما تعرف من مطالعتك الوثيقة في حنايا المصادر التاريخية المعتمدة أن أهل الجاهلية كانوا يضربون أكباد الأبل شهراً في الصحراء ليزوروا القدس !!<sup>(١)</sup> .

واليك مثلاً آخر : ان البلدة أو المدينة المعروفة في أي دولة معاصرة تغص على الأقل بنحو نصف مليون نسمة - دع عنك المدن الكبرى - وهي متسعة الجنبات ، وقد تعقدت الحياة المدنية فيها وكثرت مشاغل الناس بحيث لا يدري المرء عن جاره الا التزير اليسير من الأخبار ، وربما لا يلقاه في الأشهر العديدة الا مرة فريدة ! لكن البلدة الكبيرة في جزيرة الأمية كانت مكة ، وهي في حسابان اليوم أقل من قرية صغيرة .. والمساكن فيها متقاربة والأزقة ضيقة على ما هو معروف من الحياة القديمة .. والناظر في أخبار التاريخ الوثيقة التي تشير الى حدود مكة في الجاهلية ليعجب تماماً من صغر مساحتها !!

أضف الى ذلك كله تغاير البنية الاجتماعية . فالناس في تقابل دائم وخاصة في ناديتهم الطبيعي الدائم وهو المسجد الحرام . فما يدوم غياب شخص معروف منهم برهة الا ويُفتقد ويُعرف شأنه .. فما بالك برجل من عائلة وجبهة ذات نسب وحسب ورتب !!؟ وقد بلغ هذا الرجل قدراً رفيعاً حتى تفرد بالاشتهار بلقب الأمين . كما

(١) سيرة النبي صلى الله عليه وسلم - ابو محمد عبد الملك بن هشام ج ٢ ص ٤ .

اشتهر بالصدق وحميد الخصال وكانت الأموال تودع أمانة عنده .  
أرأيت لو غاب رجل بهذه الصفة في رحلة يستغرق طريقها  
شهرا .. فاذا أراد انجاز مصالح تجارية احتاج الى وقت أكبر  
لأنفاقه !! فاذا التزم التلقي والتعلم .. فالعلم يستنفد وقتا مديدا ..  
فاذا أضفت الى ذلك أنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب كانت حاجته أمس  
الى وقت أطول !! اذن سيعرف الأمر ويشتهر خبر سفره في مجتمعه  
الضيق ، وسيسأل عنه في المنتدى العام « المسجد الحرام »  
وسيحفظ القوم ذلك !!

٢ - واذا لاحظنا وسائل المواصلات القديمة وتذكرنا قوافل  
الجمال التجارية في رحلتي الصيف الى الشام والشتاء الى اليمن ،  
أذكرنا ذلك أن القافلة فيها عدد من الرجال غير قليل .. ولهم  
مصالح مع أناس يودعونهم وله أهل يسيرون وراءه مودعين الى  
ظاهر مكة .. ولابد من الاختلاط مع رفاق كثيرين في رحلة طويلة  
كهذه والتعاون معهم .. كل ذلك يجعل الرحلة تاريخا لا ينسى في  
عمر الانسان .. ويكون تاريخا مشهورا محفوظا لدى الكثيرين لا  
يمحى من الأذهان ، وخاصة في أناس دأبوا على حفظ أيامهم  
وأبجادهم وكل تواريخهم بالذاكرة لأنهم أميون .. ويشير الى هذا  
المعنى في اشتهار الرحلات رواية ابن سعد في الطبقات عن رحلة  
النبي قبل الزواج مع ميسرة . اذ جعل أعلامه يوصون به رجال  
الركب حرصا عليه واعتناء به وتحوفا عليه . ورد في رواية ابن سعد  
« فخرج (يعني رسول الله) مع غلامها ميسرة ، وجعل عمومته

يوصون به أهل العير..»<sup>(١)</sup> . ان وداع القوافل في انطلاقها واستقبالها بالابتهاج لدى اياها من قبل الاحياء والأقرباء وأصحاب العلاقات المالية والتزام الرفاق يجعل الرحلة في القافلة يوما مشهودا لا ينسى !!

٣ - انك لا تنسى أن زعماء الشرك في قريش وأتباعهم قد ناصبوا محمدا العداء منذ أشهر دعوته .. وانهم حرصوا على التماس كل قول لصرف الناس عن رسالته . لذا نجدهم بالغوا في اتهمه حتى الاسفاف - على الرغم من اشتباره بالخلق ورجاحة العقل - اذ قالوا : ساحر ، مجنون ، شاعر ، شاعر مجنون ، كذاب .. الخ لقد حاروا في التماس دليل مقنع يصرف الناس عن رسالته . أرأيت لو كان له ترحال الى الشام يحتمل أن يتلقى فيه بعض العلم ، أكان المشركون يتركون اتهمه بالتعلم من نصارى الشام ؟!

كيف وقد أمعنوا في التماس مثل هذا الدليل حتى حملهم غيهم أن يزعموا أنه تلقى العلم من رقيق رومي في مكة ؟!!  
ان ظروف ذلك العصر التي تؤدي الى اشتها الرحلات ، وضيق المجتمع المكي ، وملازمة الأصحاب اضطرابا في تلك الأسفار ، وان عدول قريش عن اتهمه بالترحال الى الشام وتلقى العلم فيها الى تعلات تافهة .. كل ذلك دلائل تفيد يقينا عدم ترحاله بعد الزواج الى الشام ، بل تفيد استحالة احتمال حصول ذلك حتى صار العقل العلمي ملزما برفض افتراض هذا الاحتمال الوهمي لقيام

(١) راجع النص بتمامه في الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١٣٠/١٣١ وذكرنا جانباً منه في الرحلة الثانية .

الدلائل القطعية على نقيضه .

٤ - ارجع الآن الى زعم البرفسور « واط » : « في الحقيقة ليس هناك تسجيل أنه قد رحل من جديد الى سورية ( يعني بعد زواجه من خديجة ) ولكن هذا لا يعني انه لم يرحل . ويمكن أن يكون قد كلف رجالا له بالاشراف على أعماله » <sup>(١)</sup> .

وهكذا جعل الأصل أن محمدا رحل الشام مرارا بعد زواجه من خديجة ، وأن عدم ذكر شيء في مصادر التاريخ عن أي رحلة له اليها ليس دليلا على عدم الرحلة . بل من الممكن - احتمالا - أنه لم يرحل . وهكذا عكس دلالة كتب التاريخ فجعل الاحتمال الذي لا دليل عليه « وهو زعم الرحلة » الحدث الأصلي الواقع ؛ اذ قال : « ولكن هذا لا يعني أنه لم يرحل » وجعل ما دلت عليه المصادر « وهو عدم الرحلة » محتملا احتمالا ، اذ قال : « ويمكن أن يكون قد كلف رجالا له بالاشراف على أعماله » وانه احتمال في نظره غير صحيح ، اذ أورده بعد أن نسب اليه الترحال الى الشام بعد زواجه من السيدة خديجة .

وهذا التصرف المعكوس المنكوس - من مناهج الاستشراق وأساليبه في البحث العلمي الموضوعي عن الاسلام ! وهو - في نظرهم - الحياد النزيه الذي لا تشوبه شائبة من الحقد أو العصبية أو المغالاة ، والذي لم تتسبب في ظهوره بعض المطامع الاستعمارية !! فصار في مذهبهم الحيادي العادل النزيه أن الأصل اعتبار كل

---

(١) Monamimad At Mecca, 38

شريف فاضل مجرماً حتى تثبت الدلائل المادية عدم اجرامه ؟؟؟  
وهكذا فكل انسان في المجتمع يُدان بهذه الطريقة بأي تهمة يلصقها  
به أي واهم أو سفيه أو حقوق متهور ، فيغدو بهذا المبدأ كل انسان  
أمين فاضل مجرماً .. ؟!

لكن لا تنسى أنه يظل البرفسور العظيم - ومن على شاكلته -  
بريئاً نزيهاً . !! لأن هذا هو البحث العلمي الموضوعي الحيادي  
النزيه !!

وبالاضافة إلى أن قواعد الحق تُقرر أن المدعى عليه « وهنا  
المفتري عليه » بريء حتى يدان بالدلائل ، فقد أظهرت لك البراهين  
القطعية استحالة حصول تلك الرحلات الوهمية المفترضة ، وذلك  
للعوامل الكثيرة التي أسلفنا تبيانها .

٥ - أما زعم « الكاتب العربي » أن أبابكر كان يعرف علوم أهل  
الكتاب ، فانه زعم محض لا دليل عليه ، اللهم إلا أن يكون  
محاكاة للاجانب وارتياباً للمنافع . ولا شك أن قواعد البحث  
العلمي وقواعد الحق المعترف بها لدى كل انسان ، تقضي أن يقدم  
المدعي بيته على دعواه . فأين البيته على تلك الدعوى ؟!! ولماذا لم  
يشتهر أبوبكر بمعرفته بالعبرة كما اشتهر ورقة بن نوفل في مجتمع الأمية  
والوثنية بمكة المكرمة ؟!

ثم لماذا لم يدعم أبوبكر موقف صديقه الحميم بشهادته الوثيقة  
حول مسألة الوحي اذا كان يعرف أوصافه من الكتب السابقة ؟!  
ألم يفعل ذلك ورقة ! وكان الموقف بأمر الحاجة الى هذه  
الشهادة ! فان المشركين أنفسهم لو عرفوا دراية لأبي بكر بالعبرة

لابد لهم أن يسألوه عن التطابق بين الدعوة الجديدة والدين القديم ، وما أحرص الصحابة أيضا على استماع شهادة أبي بكر لتعاصد الأدلة القطعية على رسالة محمد ﷺ فيزدادوا بها يقينا على يقينهم ، ويتناقلون فيها بينهم وفي دعوتهم الى أحبائهم ممن لم يسلموا ثم الى أولادهم واخوانهم في الدين الذين جاؤوا من بعدهم !! لقد أسلم عبد الله بن سلام وهو من أعظم أبحار اليهود وشهد بأن صفات محمد بن عبد الله هي صفات خاتم المرسلين المذكورة في الكتب المقدسة لديهم .. تلقى المسلمون شهادته بحرص بالغ ويقين زائد وتناقلوها الى أيامنا هذه <sup>(١)</sup> .

فلو كان أبو بكر على اطلاع على النصرانية ، أما كان يخدم دينه بشهادة مثلها كذلك ؟! أما كان المسلمون يطلبون اليه ذلك ؟! ان زعم تعلم أبي بكر الكتب المقدسة قضية لا دليل عليها ، بل الأدلة قائمة على نفيها ، فالى أين يذهب المتقولون على حقائق التاريخ ؟! ولماذا يؤفكون عن الحق المبين ؟!

٦ - والعجيب أن هؤلاء الملاحدة وفي مقدمتهم الشيوعيون متآزرون تماما مع التبشير والاستشراق ومنسجمون في أفكارهم مع الغزو الفكري الاستعماري ، وذلك في نفس الوقت الذي يتحدثون فيه عن آثار الكنيسة في الغرب وثورة الاتحاد والشيوعية عليها ، ويزعمون أنهم دعاة تحرر من الاستعمار وغزوه الفكري .. فهم في الواقع مجمع النقائض !! لأن الكفر ملة واحدة ، والكفار بعضهم

(١) روى الامام البخاري وغيره قصة اسلامه . وقد مر بك الحديث آنفا ص ٩٧ .

أولياء بعض في عداوة دين الله والكيد للمسلمين من عباد الله .  
﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ  
فَيُرْكَمَهُ جَمِيعاً فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (١) .

ولا ريب أن زعم الكاتب ترحال أبي بكر مع رسول الله  
والاستماع الى الأخبار زعم يحاكي فيه التابع قائده والعبد سيده !  
زعم بغير بيّنة ولا دليل !! بل هو تخرص تدحضه حقائق الواقع  
التاريخي كما تقدم ذكرها . أضف الى ذلك أنه يستحيل أن تطيق  
قريش سكوتا على ترحالها وصبرا على طعنها في دينها وآلهتها . ثم لا  
تقيم عليها حجتها - لو كانت حاصلة - بأنها سافرا وتعلّما .. ثم  
تنسبها الى التآمر عليها لاقتناص زعامتها !!

اذا غابت حقائق السيرة والتاريخ عن المبشرين والمستشرقين  
لبعدهم عن الاسلام والعربية فانها قريبة المنال جليلة المعالم بالنسبة  
لكاتب صحفي عربي في بلد اسلامي عريق .. !! فما آفته إذن !! ما  
منعه عن استجلاء الحقائق من أهل الذكر ؟! وما دفعه الى متابعة  
الأجانب .. حذو النعل بالنعل ؟؟!!

﴿فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في  
الصدور﴾ (٢) .

## قصص الأنبياء وحي إلهي خالص

ههنا مسألة جديدة تتعلق بالمسائل التي سبق لنا نقاشها والرد

(١) سورة الأنفال : ٣٧ .

(٢) سورة الحج : ٤٦ .

على تقول المستشرقين فيها . فان معظم ما ورد من قصص الأنبياء في القرآن إنما ورد على شاكلة تخالف معلومات أهل زمان البعثة النبوية سواء أكانوا يهوداً أم نصارى أم مشركين !! ويبيّن القرآن أن الرسول الكريم ما كان يعرف هذه القصص ولا كان قومه يعرفونها وأن الله أنبأ بها محمداً بالوحي الالهي بواسطة جبريل عليه الصلاة والسلام وأنها هي الحق الواقع في حياة الأنبياء السابقين عليهم صلوات الله وسلامه ، وأنها كانت قبل أن يوحى الله تعالى بها غيباً مجهولاً لا يدري بها أهل ذلك الزمان . إن الغريب أن تجد الاستاذ « واط » يعطيك فكرة عن قصص الأنبياء خلافاً لما هو مألوف ومعروف للمسلمين جميعاً ...!! ولكن الأعجب الأغرب أن يزعم أن تقوله في قصص الأنبياء هو رأي المسلمين أنفسهم !!؟؟ ولكن من أي مصدر علم أن تقوله هو رأي المسلمين ؟! ولماذا لم يذكر المصدر ؟!

زعم « واط » مترجم المستشرقين ما يلي :

« ورأي المسلمين هو التالي : « حينما اعترف المسلمون الأول بمحمد نبياً بدأوا - ومحمد معهم - بالاهتمام بالأنبياء السابقين ، فاكشفوا منهم من استطاعوا ، وأخذت معلوماتهم تزداد تدريجياً » ونجد أثر ذلك في القرآن . وهناك جمل عديدة في القرآن تدل على أن المادة المفسرة لم تكن غريبة عنهم . مثال : ﴿ هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود ﴾ ! (١٧/٨٥) وكذلك قوله : ﴿ ذلك من أنباء الغيب ﴾ (٤٤/٣) يدل على أن التفاصيل جميعها لم تكن



معروفة من محمد نفسه» (١) .

ونسجل ههنا الملاحظات التالية :

**أولاً :** تناقض المستشرق وإرساله التهمة جزافاً دون دليل :  
إنَّ مضمون هذا النص يزعم أن الرسول تلقى من بعض الصحابة معلومات عن الأنبياء - وبالتالي يزعم أنه صاغها قرآناً يُتلى ؟!! - ولكن المؤلف الذي اكتسب ثوب المؤرخ لم يذكر خبراً تاريخياً واحداً يدل على مثل هذا التصرف عبارة أو إشارة ؟!! ثم لم يذكر أيضاً من هم الصحابة الذين اكتشفوا مع الرسول الأنبياء ، ولا كيف تم اكتشافهم ، ومن أي مصدر « أو حفرات أثرية » حصل لهم وهم أميون ؟؟! هل هكذا البحث التاريخي العلمي الحيادي تعميم وتعمية وإصدار حكم بغير دليل ؟؟! ثم كيف أعانه أصحابه على استجماع أخبار الأنبياء وأفادوه بما لديهم ولدى غيرهم - كما تزعم - ثم ظلوا يتابعونه نبياً رسولاً ؟!

ولكن ألم يسبق لك القول افتراءً بأنه كانت له اتصالات مع ورقة ، حتى تلقى منه ما في الكتب المسيحية المقدسة (٢) ؟!! فكيف احتاج بعد ذلك الى معرفة قصص الأنبياء من غيره ؟!! ما هذا التناقض ؟؟!!

**ثانياً :** جهل ومغالطة في استدلال المستشرق بقصص الأنبياء :  
لربما يدخل الوهم قلب انسان بعيد عن الثقافة الاسلامية ، فيتوهم أن ايراد المستشرق النصين من القرآن دليل على ما يقوله ،

(١) Mohammad At Mecca, 84

(٢) راجع ص ٨٥ وما بعدها .

ونحن نحجب عن ذلك بما يلي :

١ - انه لم يستشهد بالنصين على أنهم كانوا يكتشفون أخبار الأنبياء ، انما استشهد بالنص الأول على أنه يفيد أن الصحابة كانوا يعرفون أنباء يسيرة عن بعض المرسلين قبل نزول هذا النص من القرآن ، وهذا لا يقدم ولا يؤخر ، وهو أمر معلوم لدى جماهير المسلمين منذ عصر النبوة حتى زماننا هذا !!

والنص الأول في سورة البروج التي ذكرت قصة أصحاب الأخدود ، وصبر أهل الايمان على عسف الضلال والطغيان ! وبيان أن سبب نقتهم على المؤمنين أنهم آمنوا بالله ورسوله !! ثم بيان مصير كل من الفريقين ، فريق في الجنة ، وفريق في السعير . فإن بطش الله شديد ، وإنه المحيي المميت المبدئ المعيد ، الغفور الودود ، الفعال لما يريد . ثم ذكر تعالى رسوله والمؤمنين بقوم آخرين اشارة للعظات البليغة ، فقال تعالى : ﴿ هل أتاك حديث الجنود ، فرعون وثمود ، بل الذين كفروا في تكذيب الله من ورائهم محيط . بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ (١) .

ولنا ههنا أن نسأل : ما الحكمة في الاشارة الى قصة قوم فرعون وثمود اشارةً بينما فصلت السورة قصة أصحاب الأخدود تفصيلاً ؟!

لو كان القوم يعرفون قصة أصحاب الأخدود لما جاز تفصيلها اطلاقاً ، خاصة وأنها قرئت بموجز قصتي قوم فرعون وثمود ؟! ولو

---

(١) آخر سورة البروج .

كان القوم يجهلون تماماً قصة قوم فرعون وقصة ثمود لما ناسب إيراد الإشارة إليهما بل لاقتضي المقام تفصيلاً لشأنهما .. مناسباً للعظات المشار إليها !!

أكتفي في هذا الوقت بإيراد تفسير النص من « الجامع لأحكام القرآن » للإمام محمد القرطبي - رحمه الله - إذ قال :

[ **هل أتاك حديث الجنود** ] أي قد أتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأبيائهم ، يؤنسه بذلك وسليبه . ثم بيّتهم فقال : **﴿ فرعون وثمود ﴾** .. المعنى : انك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا أنبياءه ورسله **﴿ بل الذين كفروا ﴾** : أي من هؤلاء - مشركو مكة - الذين لا يؤمنون بك . **﴿ في تكذيب ﴾** : لك ، كدأب من قبلهم ، وإنما خص فرعون و ثمود ، لأن ثمود في بلاد العرب ، وقصتهم عندهم مشهورة وإن كانوا من المتقدمين . وأمر فرعون كان مشهوراً عند أهل الكتاب وغيرهم ، وكان من المتأخرين في الهلاك ، فدل بهما على أمثالهما في الهلاك .. **﴿ والله ورائهم محيط ﴾** : أي يقدر أن يُنزل بهم ما أنزل بفرعون <sup>(١)</sup>

٢ - إن معرفة العرب بِتَفْيسِيرِ من أنباء بعض الأنبياء - قد أشار الله إلى عظاتها تربية لهم - لا تعني أنهم يعرفون مثل ذلك عن جميع الأنبياء ، فضلاً عن التفاصيل !! وقد أقر المستشرق بأن التفاصيل جميعها لم تكن معروفة من محمد نفسه !! غير أنه استشهد ببعض آية ولم يذكرها بتمامها استكمالاً للمعنى

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ١٩ ص ٢٩٧/٢٩٨ وانظر روح المعاني ج ٣٠ ص ٩٣ .

وللأسف !! كما استشهد في الأعلى ببعض نص من سورة البروج - وهذا من أساليب كبار المستشرقين - .

لكنَّ بقية أخبار المرسلين واقوامهم ليست معلومةً لسيدنا محمد وقومه على الاطلاق . وما عرفها الا بوحى الله . قال الله تعالى في سورة آل عمران : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ، وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم اذ يختصمون ﴾ <sup>(١)</sup> .

لا ريب أنه يتوجب على الباحث معرفة المشار اليه في اسم الاشارة ( ذلك ) ولا يمكن ذلك إلا بقراءة الآيات السابقة لهذه الآية . فالسورة تدل باسمها أنها تتحدث عن نبي الله عمران وعن ذريته . فقد تحدثت أيضا عن نبي الله زكريا وولده نبي الله يحيى . وتحدثت عن ابنة عمران وهي السيدة الطاهرة مريم العذراء البتول ، وعما تثيره قصصهم من العبر والعظات ، ثم قالت السورة :

[ ﴿ ذلك من أنباء الغيب ﴾ : أي الذي ذكرنا - آنفأ - من حديث زكريا ويحيى ومريم عليهم السلام من أخبار الغيب ﴾ نوحيه اليك ﴾ : فيه دلالة على نبوة محمد ﷺ حيث أخبر عن قصة زكريا ومريم ولم يكن قرأ الكتب ! وأخبر عن ذلك وصدقه أهل الكتاب بذلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿ نوحيه اليك ﴾ ] <sup>(٢)</sup> .

(١) سورة آل عمران : ٤٤ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن - أبو عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي ج ٤ ص ٨٥/٨٦ .

[ وما كنت لديهم : أي عند المتنازعين - لم تشهد النزاع بينهم - والمقصود من هذه الجملة تحقيق كون الإخبار بما ذكر - سابقاً - عن وحي ، على سبيل التهكم بمنكره ! كأنه قيل : ان رسولنا أخبركم بما لاسبيل الى معرفته بالعقل مع اعترافكم بأنه لم يسمعه ولم يقرأه في كتاب ، وتنكرون أنه وحي ! فلم يبق مع هذا ما يحتاج الى النبي سوى المشاهدة التي هي أظهر الأمور انتفاء ، لاستحالتها المعلومة عند جميع العقلاء ] <sup>(١)</sup> ومعلوم في قصة السيدة مريم أنهم اختلفوا فيمن يحضنها ، فاقترعوا بأقلامهم فكانت من نصيب زوج خالتها زكريا عليه السلام <sup>(٢)</sup> ، فقد كان كل منهم حريصاً على كفالتها .

ثالثاً : دسُّ اعتقادي وتهرب من سطوة البراهين القاطعة :

ينتقل البروفسور « واط » بقاري كتابه فجأة الى واد آخر . اذ أتبعَ قوله السابق بتقول جديد : « ويجب مع ذلك أن نذكر هنا بأن التمييز الغربي بين الواقعة المجردة ومغزاها ليس مفهوماً تماماً في الشرق ..

أما في الشرق العربي حيث لا يقيم الناس مثل هذا التمييز فيكني القرآن أن يقول : ( أنباء ) !!

هذا ما يمكن التقدم به من مسلم يحاول اقناع غربي لا يؤمن بالمعجزات !! » <sup>(٣)</sup>

(١) روح المعاني - محمود الآلوسي - ج ٣ ص ١٥٨ .

(٢) وقيل أنه كان زوج أختها .

(٣) Mohammad At Mecca, 84

١ - لا تعجب من هذا !! فقد درج المؤلف عليه من أول كتابه الى نهايته ! أما تراه يبني وجهة نظره بدون فهم على كلمة من آية ؟! كما تغافل هذا المؤلف عن البرهان العقلي الذي أورده القرآن العظيم في تمام الآية .. !! وقد أوضحناه لك آنفاً !

ثم أنت تسأله : من أي مصدر علمت أن المسلمين يكتفون بالاستدلال بكلمة ( أنباء ) ؟! من أي من كتب السيرة أو التفسير أو العقيدة ؟! نحن نتحدى المستشرق أن يشير الى مصدر علمي واحد يستدل على صدق القرآن بالطريقة التي زعمها !!

٢ - أنك قدمت لكتابك بأنك وضعته لفئة المؤرخين .. وأنك ستخذ موقفاً محايداً من المسائل الخلافية بين المسيحية والاسلام .. !!<sup>(١)</sup>

ولكن ماذا ترى الآن في هذا النص ؟! وماذا يرى فيه المثقف الواعي ، بيانا تاريخياً أم دساً اعتقادياً ؟!

٣ - ان أهم هجوم يشنه علينا رجال الاستشراق المحاربون للاسلام هو اتهامهم علماء المسلمين بأنهم يأخذون فقرة من كلامهم ويتركون ما يتصل بها .. وهو زعم لا أصل له ! واني حرصت على استيفاء هذه الناحية . فلا أغفل كلمة تدعم وجهة نظر المستشرق حين الاستشهاد بنص من كلامه !

ولكن هل ترى المستشرق التزم المذهب العلمي الحيادي بايراد النصوص كاملة ، وهو المذهب الذي يزعم توفره فيهم وخلو كتابات

---

Muhammad at Mecca, introduction, X (١)

غيرهم منه .

لم يكتف المؤرخ أن استشهد ببعض النص .. بل إنه أغفل إيراد نص هام يرادف الأول ويعاضده ، وهو أظهر برهاناً لمن لم يتعمق في أسلوب البيان العربي . وذلك قول الحق تبارك وتعالى في سورة هود المكية بعد أن فصل قصة رسوله نوح عليه السلام :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ، فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١) .

أفادت هذه الآية بجلاء أن محمداً لم يتلق من أحد من الناس قصص النبيين . فالمعهود فيه أنه أُمي لم يقرأ كتاباً قط في حياته ولم يتلق من عالمٍ علماً ! وأن قومه أميون لا يعرفون من تاريخ المرسلين إلا لمحات يسيرة عن بعضهم ، قد توارثتها الأجيال وسارت بها الأمثال . وقد أشار الله إلى معرفتهم إياها ، كما في سورة البروج . وما عدا ذلك فإن الله تعالى عقَّبَ على قصص المرسلين بما يثبت أنها وحي من الله إلى رسوله ، وما أرسلت هذه الحقيقة في القرآن مجردة عن البرهان ، بل جاء باثبات حقيقتها البرهان العقلي جاراً مجاوراً لا ينفك عنها أبداً الآبدية . فقد أكد البيان الإلهي أن قصة نوح وحي منه تعالى فإنها فوق علم محمد وعلم قومه ﴿ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ (٢) !! ومتى تنزل عليه هذا الخطاب ؟ ! إنه تنزل في مكة المكرمة قبل أن يؤمن به أحد من علماء أهل الكتاب ،

(١) سورة هود : ٤٤ .

(٢) انظر تفسير الآية في الجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ج ٩ ص ٤٩ وروح المعاني

ج ١٢ ص ٧٥ .

فتأمل سطوة البرهان !!

أرأيت لو كان لكلام « واط » في زعمه أن الرسول وصحبه الأوائل تعلموا أخبار المرسلين وزادوا معلوماتهم تدريجياً من مجتمعهم - كما أفاد في النص الأول - لو كان لتقوله أدنى صلة بالواقع ، لقال له أصحابه والمشركون عند نزول الآية :

نحن قومك ونحن نعلم هذه الأخبار قبل نزولها ونحن أفدناك بها ؟! ولو كان في الأمر أدنى شيء من ذلك لقالوا عند الجهاد : أنبذل أرواحنا في سبيل كذبة كذبتها ؟؟!!

ولكن حاشا الرسول وصحبه من زيف هذه التقولات الجانية وأمثالها !!

ثم كيف يواصل الصحابة الإقامة على هذا الدين بإيمان راسخ متين ، متحمسين مستبسلين بالروح والدم والمال للدفاع عنه ونشره بين العالمين لو لم يكونوا متيقنين أنه وحي الله بقصصه وبجميع ما جاء فيه ؟!!

رابعاً : حيرة القاري بين جهل المستشرق وتحامله :

ان القاري المثقف وقد لاحظ استشهاد المستشرق ببعض آية دون تمام معناها ، واغفلاً تاماً لآية ثانية تبين وجه الدليل صراحة على أن قصص المرسلين وحي الله تعالى الى رسوله محمد ﷺ ، لا بد أن يتساءل : إما أن يكون الاستاذ المستشرق يعلم بوجود هذه الآية في سورة هود أولاً يعلم ؟!! فان كان يعلم فأين الموضوعية والحياد النزاهة ؟! بل أين البحث العلمي ؟! والمثقف المسلم سرعان ما يتذكر أن الله وبخ في القرآن أهل الكتاب لكتائبهم جوانب من



رسالة الله اليهم ، وان الله تعالى قد وبخ بعض اليهود بقوله : ﴿ أَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ ، وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ <sup>(١)</sup>

فاذا علم القارئ أن الاستاذ المستشرق يمنح درجات الدكتوراه في الدراسات الاسلامية ثم قيل له : انه لا يعلم بوجود آية هود اطلاقا ؟! لم تأمن أن يجيئك القارئ : أليس عارا على العاقل أن يدعي علم ما لا يعلم .. ؟!!

لقد أوقع هذا المستشرق القارئ في شك وحيرة ! فلا يستطيع أن يتقبل أي حكم يصدره فانه لا يدري ما أظهر وما أبطن وما أخفى وما أعلن .. كما لا يستطيع أن يحكم ما اذا كان المؤلف - وهو يصدر أحكاما بهذه الغزارة - عالما بجوانب المسائل التي يتحدث عنها ويحكم علمه فيها أم صدرت أحكامه عن حقدٍ وظلم وجهل ؟؟! مما يثير في ذهن القارئ قول الشاعر العربي :

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبةٌ : وإن كنت تدري فالمصيبةُ أعظمُ

ان نقد هذا الكتاب « محمد في مكة » - وأمثاله - من شأن العلماء المختصين . وان المثقف الواعي كيعرض عنه ، وقد أدرك يقينا بأنه كتاب ساقط من الاعتبار العلمي والأخلاقي !

(١) سورة البقرة : ٨٥/٨٦ .

خامسا : تورط المستشرق في كذب مفضوح :

إن « واط » قد أهمل النظر في المشار اليه باسم الاشارة في قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك ﴾ <sup>(١)</sup> . ربما لم يتعمد اهماله ، لكنه لشدة ضعفه في اللغة العربية وقواعدها لم يعلم أنه لابد لاسم الاشارة في العربية من مشار اليه ، كما هو في كل اللغات !!

ربما لا يؤثر هذا كثيرا في مكانة المستشرق ! لكن التساؤل الذي لا يمحى من الذهن : كيف زعم أن المسلمين يرون - وبالأحرى يعتقدون ، لأن المسألة هنا اعتقادية - أن الرسول وصحبه اكتشفوا أخبار الأنبياء تدريجيا ؟

لماذا لم يعلن أن هذا استنتاجه شخصياً !! وهو - كما ترى - توهم محض ! كيف تقول - المستشرق - على لسان المسلمين ما لم يقولوه ونسب إليهم ما لم يعتقدوه !! بل إن عقيدتهم على خلافه تماما ! كيف وقد تقدم تعهده أن لا يعارض عقائد المسلمين الأساسية !! ؟ فآين البحث الموضوعي ؟ بل أين الصدق إذن ؟

سادسا : سذاجة عنصرية لخدمة غرض استعماري عام :

ان تقول المستشرق « بأن العرب في الشرق لا يُميزون بين الواقعة المجردة ومغزاها في قصص القرآن وبأن الغربيين يميزون ذلك .. » ما هو الا ادعاء محض يحتاج الى دليل وتحديد مصدر فأين الدليل ؟! ان النظر في كتب التفسير القديمة والحديثة يظهر

(١) سورة آل عمران : ٤٤ وتقدمت المسألة تامة من قبل .

بطلان هذا الادعاء ! فهي تريك انعام نظر المفسرين في مغزى كل قصة في القرآن الكريم ، وكذا المربون العلماء عُنوا بعظات القصص القرآني وعبره في تربية ضمائر الناس وتهذيب نفوسهم . وأقرب مثال في مقامنا هذا ما استنبطه المفسرون من عظات بليغة من قصص سورة البروج . وتأمل النص الذي نقلناه عن الامام القرطبي منذ حين !!

انطلق المستشرق في زعمه ذلك من خطة الاستشراق والاستعمار في تحطيم معنويات المسلمين بالاستخفاف بعقولهم ، لاشعارهم باحتقار الذات والزامهم عقد النقص ، حتى أطلق الغربيون شعارهم : « الغرب غرب والشرق شرق » تجبراً وعجباً يتفوق العنصر الآري الغربي على العنصر السامي الشرقي . وهو زعم كاذب مغرور واحتيال مفضوح ، كشفت الدراسات الانسانية بطلانه وسخفه . وقد سبق القرآن العظيم الى تقرير المساواة في الامكانيات بين جميع الشعوب ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثي وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليمٌ خبير ﴾ (١) .

لعل لهذا المستشرق المسكين بعض العذر في تقولاته لجهله باللغة العربية . ولكن القارئ النابه يرفض ذلك معترضاً : لماذا أقدم المستشرق على ابداء آراء خطيرة فيما يجهله وهو يعلم أنه يجهله ؟ وهو دين الهي مقدس عظيم !! وقد ارتقت به الانسانية رقياً

(١) سورة الحجرات ١٣ وراجع ص ٤٣ وانظر تفسير القرطبي : ١٦ : ٣٤٠/٣٤٨ .

عاليا !! بل لماذا اتبع المستشرق في آرائه سبلا ملتوية غريبة عن العلم ومناهجه وأساليبه تحت ستار البحث العلمي الموضوعي الحيادي  
النزيه !!؟؟

وهكذا فإن المخدوعين أصحاب النية الطيبة من القراء والباحثين ، مهما حاولوا جاهدين أن يبرءوا ساحة هذا المستشرق وأضرابه ، فانهم يعجزون عن التماس عذر يقبله أحد من المثقفين النابهين !! وهذه هي المشكلة القديمة الجديدة المستعصية في دراسة ذلك الاستشراق المغرض المتحامل !!

من الممكن أن يكون المستشرق قد أصدر زعمه احتيالاً محبوكا بعناية زائدة في وقت مديد ويتجارب عملية على الطلاب المسلمين عنده لملاحظة ردود أفعالهم ومدى اختفاء أغراض البحث عن سرعة ملاحظتهم .. وإذا افترضنا أن الأسلم أن لا يهتم بذلك ! فهل من سبيل يمنع القارئ المثقف ثقافة اسلامية قوية من ادانة « واط » ، مترع المستشرقين ، بالتهور والجهل !!؟؟

### أساس هذه المناقشة :

إن مناقشة المستشرقين وأتباعهم - في تقولهم على رسول الله ﷺ بأنه تعلم من بشر - تقوم على أساسين وطيدتين :  
أولهما : أن الرسول ﷺ لم يتلق عن أحد من العلماء قبل النبوة ولا بعدها . وأن الذين لقيهم لم يتصل بهم صلة تمكنه من التلقي الوفير المجدي ، بل إنه لم يسمع ممن لقيهم قبل النبوة شيئا من هذه الأحاديث البتة . وأما الذين التقى بهم بعد النبوة وسمع منهم وسمعوا

منه كوفد نصارى نجران وبعض اليهود كعبد الله بن سلام . فقد التقوا به في المدينة - بعد ثلاث عشرة سنة من حمله أعباء الدعوة - ولم يكن منهم الا أن سألوه وأخذوا عنه وآمنوا به ، فكان عليه الصلاة والسلام معلماً لهم وواعظاً ومنذراً ومبشراً . أضف الى ذلك أن كل لقاء لم يكن سرا مكتوما بل كان علنا مشهودا .

ثانيهما : أن تقرر هل الذي جاء به محمد ﷺ نظير ما كان عندهم أم لا ؟ لا شك أن البون بين ما في الكتاب المقدس وبين القرآن شاسع . وأن الفرق بين ظاهر ، وسنين ذلك فيما بعد باذن الله (١) .

لقد رأيت مما سبق أن المستشرقين الذين يخادعون الناس بدعوى الموضوعية والحياد في البحث لم يجاوزوا كلام المشركين قديما قيد أعملة .

فان محاولتهم طعن القرآن بتلك الخرافات الركيكة دليل على احساسهم بقصورهم وعجزهم عن النيل منه . لذلك زعموا أن مصدر العلم هو الجهل ، وأن ينبوع النور هو الظلام ، وأن شرك الجاهلية كان توحيداً ذائعاً بين العرب .. وأن التوحيد في الاسلام مصدره شرك الجاهلية وتثليث النصارى . فقد راموا اجتماع اليوم والأمس واستواء السها والشمس .

فدعهم يزعمون الصبح ليلاً : أيعمى الناظرون عن الضياء ؟

(١) انظر كتابنا « بينات المعجزة الخالدة » ص ٤١٤/٤٠٢ .

أفتؤمنون ببعض الكتاب ؟!

« جبريل هو ملك الوحي بالقرآن إلى رسول الله »

تكرم المؤلف الاستاذ على قارئه في مقدمة كتابه باعلانه عن وضع كتابه لفئة المؤرخين وأفاد بأنه ملتزم بحياض المؤرخ . إذن علينا أن نستطلع بعض النماذج من بحثه التاريخي !

إن المؤلف قد تعمد الاختصار في الوحي على روايات الزهري ، فجعل من مقاطع متفرقة بيانا واحدا عن الوحي . وترك الروايات الأخرى التي أعطت بيانا واحدا كاملا عن ظاهرة الوحي الأول الى محمد رسول الله ﷺ (١) .

أولا : لا ريب أن مثل هذا التلفيق ليس عملاً تاريخياً مقبولاً ، خاصة اذا كان مصحوبا بالاعراض عما سواه مما يبين نواحي جملة فيه ، أو يذكر زيادة عليه تتم بيان الحدث بأكمله .

ثانيا : ان جميع النتائج التي بنيت على هذا التلفيق ساقطة من الاعتبار العلمي ، لأنها قامت على أساس فاسد غير صحيح .

ثالثا : تعمد المؤلف أهمال السند ، وابتعد النجعة فزعم عدم جدوى دراسة السند ، اذ قال : « مهما يكن فلن يستفاد كثيرا من مناقشة الاسناد ، واقترح اعتبار دلالات الفقرات الداخلية ، وخصوصا دراسة ما يمكن أن يسمى : (المعالم) المتنوعة للأخبار » (٢) .

أضف الى ذلك أن الروايات التي لفقها مختلفة الأسانيد ، بل

(١) Mohammad At Mecca, 39-41

(٢) Mohammad At Mecca, 41-42

هي مختلفة الرواة أيضا . فبعضها عن السيدة عائشة رضي الله عنها وبعضها عن غيرها ..

ومعلوم لدى المثقفين المسلمين أن علماء الحديث قد عُتُوا في منهج النقد في علوم الحديث بنقد كل من السند والمتن بآن واحد ، استبانة للصحيح الثابت من الوقائع التاريخية ، وكشفا عن الضعيف والمغلوط والمكذوب من الروايات الواصلة إلينا<sup>(١)</sup> .

رابعا : أدرج المؤلف في أشتات كلامه المضطرب عن سورة المدثر ، أدرج قولاً غريباً ثم لم يعقب عليه إطلاقاً بالقبول ولا بالرفض .. قال « واط » : « ونسمع في مكان آخر أنه قبل السنوات العشر في مكة حين نزل الوحي على محمد بواسطة جبرائيل ، مضت ثلاث سنين كان الوحي ينزل فيها على يد اسرافيل »<sup>(٢)</sup> ثم عزا ذلك في الهامش الى تاريخ الطبري .

خامسا : ماذا يجب على المؤرخ أن يفعل اذا ذكر في كتابه روايتين متعارضتين ؟ فان متزعم المستشرقين « واط » ، ذكرت روايات الزهري وفيها اسم جبريل أكثر من مرة !! فأين ما وعد به المؤلف القارئ أن يكتب كمؤرخ بشكل موضوعي حيادي ؟ فأين الترجيح بين الروايتين ؟! وأين دلائل هذا الترجيح اذا كان المؤلف قادرا - كما يزعم - على البحث التاريخي العلمي الموضوعي !! ؟! هل سيحكم القارئ بأن الكاتب قد أراد بحثاً تاريخياً محققاً

---

(١) انظر منهج النقد في علوم الحديث - الدكتور نور الدين عتر - فقد أفاض في هذا بما لا داع لسرده هنا .

(٢) Mohammad At Mecca, 48

مجرداً عن الأغراض الاستعمارية والكنسية؟! أو أراد التشكيك لغاية في نفسه .

سادسا : اليك « تاريخ الرسل والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري » فانه ذكر أولا في مطلع رواياته عن ظاهرة الوحي رواية الزهري عن عائشة ، وهي التي أفاد منها المستشرق « واط » . ثم راح الطبري يورد الروايات الأخرى فذكر رواية عن عبد الله بن شداد ، ثم ذكر رواية أخرى عن عبد الله بن الزبير وهكذا الى روايات كثيرة ، وليس في واحدة منها ذكر اسرافيل إطلاقاً<sup>(١)</sup> .

ثم بعد نحو مائتي صفحة وفي ختام أخبار الفترة المكية ، تحدث المؤرخ الجليل الطبري عن مدة اقامة رسول الله ﷺ في مكة بعد النبوة . فذكر روايات تنص على أنه أقام بها عشر سنين وروايات أنه أقام ثلاث عشرة سنة ، ثم وفق الطبري بين القولين ، وذلك باحتمال أن يكون أصحاب القول الأول عدوا مقامه بمكة من حين أتاه جبريل وأظهر الدعوة الى الله ، ولم يعدوا السنين الثلاث الأول لما بلغهم أن الدعوة كانت فيها سرية وأن اسرافيل كان صاحب الوحي فيها . أما الآخرون فاعتبروا مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي أوحى اليه فيه .

سابعا : أقول : لم يذكر المستشرق هذا البيان حين ذكر رواية الوحي باسرافيل . وكان واجبا عليه أن يذكر هذا البيان أو أن يهمل الرواية بالكلية عند حديثه عن الوحي ، كما أهملها الطبري نفسه

(١) تاريخ الرسل والملوك ج ٢ ص ٣٠٩/٢٩٨ .



لدى حديثه عن الوحي .

والاستاذ المستشرق « واط » يزعم في مقدمة كتابه أنه مؤرخ حيادي ، فلما ذكر هذه الرواية توجب عليه أن يلتزم منهج المؤرخين العلمي فينقل الأمر بأكمله - كما يفعل كل باحث منصف - فقد قرن الطبري رواية الوحي بواسطة اسرافيل بقول الواقدي : « قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن صالح بن دينار ، فقال : والله يا ابن أخي لقد سمعت عبدالله بن أبي بكر بن حزم وعاصم بن عمر بن قتادة يحدثان في المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعا ، وقالوا : ما سمعنا ولا علمنا الا أن جبريل هو الذي قرن به ، وكان يأتيه بالوحي من يوم أن نبي إلى أن توفي ﷺ » (١) . وهذا ما فعله محمد بن سعد في الطبقات الكبرى ، أذ قال : « فذكرت هذا الحديث لمحمد بن عمر فقال : ليس يعرف أهل العلم ببلدنا أن اسرافيل قرن بالنبي ﷺ . وأن علماءهم وأهل السيرة منهم يقولون : لم يقرن به غير جبريل من حين أنزل عليه إلى أن قبض ﷺ » (٢) .

(١) تاريخ الرسل والملوك - لأبي جعفر محمد جرير الطبري ج ٢ ص ٣٨٦/٣٨٧ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ١ ص ١٩١ . ومراد أهل العلم في رواية ابن سعد أن جبريل تفرد بالوحي بالقرآن بدلالة قولهم « لم يُقرن به غير جبريل .. » أما الوحي بغير القرآن بواسطة غير جبريل فقد ورد في مسائل يسيرة في كتب السنة ، معروفة عند أهل العلم . وقد خلط بعض الباحثين بين هذا وذاك لقلة خبرته بمذاهب المستشرقين . ولو علم الباحث أنهم يفرقون في المصدر بين القرآن والسنة لما تورط في قوله . واعلم أن القرآن نص صراحة على أنه وحي الله بواسطة جبريل ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ الشعراء : الآيات ١٩٢ - ١٩٥ ، وغيرها كثير . وإن العلماء جميعاً قد نصوا في تعريف القرآن على أنه « وحي الله تعالى إلى محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام » فكيف يلتبس الأمر بعد هذا على باحث ؟!

وهذا صنيع المحققين من مؤرخي الاسلام الاعلام ! وهذا  
منهجهم ! ذكروا الصواب ثم ذكروا قولاً غير سليم وأبانوا خطأه .  
وهذا ترجيحهم : فالعلماء يعرفون رواية جبريل ، ويعرفون أن  
جبريل كان الملك الوحيد للوحي بالقرآن إلى محمد بن عبدالله ، وأن  
غيره لم يكلف بالوحي بالقرآن إطلاقاً . فأسقطوا بذلك اعتبار الرواية  
العليلة التي شذت وخالفت الروايات الكثيرة الصحيحة سنداً  
ومتناً .

والآن يسأل القارئ « واط » مترجم الاستشراق : إذا رفضت  
دراسة الاسناد فأين منهجك في اعتبار المقاطع الداخلية  
للروايات ؟! وأين دراستك لما أسميته « معالم » الروايات المختلفة ؟!  
هل تضع المنهج لتعمل به دائماً ؟ أم لموقع دون موقع ولمسألة  
دون غيرها ؟! وهل يدخل كتمان الوثائق التاريخية في البحث  
التاريخي الحيادي أم في التحقيق العلمي الموضوعي ؟! أم في  
ماذا ؟! ما الوصف الحقيقي لهذا التصرف ؟! وهل أخذت  
معلوماتك عن كتب التاريخ العربية أم عمن اشتهروا بهذه النماذج من  
الصدق والأمانة والتحقيق ؟!؟

كيف يقبل من « واط » أن يُورد طرفاً واحداً من قضية واحدة  
ويهمل طرفاً آخر ، وكيف ساغ له فعل ذلك والكتابتان اللذان نقل  
المسألة عنهما من مصادر التاريخ التي آثرها على كتب الحديث  
الصحيحة ، فأين يذهب ؟!

ألم يأخذ على نفسه العهد في مقدمة كتابه ببحث موضوعي  
حيادي ؟ ألم ير في تصرف أسلاف له من أهل الكتاب ما يكفي

للاتعاط والاعتبار ﴿فَمَا نَقْضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ، وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

هل العجيب أن يفعل المستشرقون هذا ! أم العجيب أن يتوهم البعض من أبناء المسلمين ؛ أن لديهم منهجاً علمياً حيادياً في البحث ، فيذهبوا للافادة منه !! ؟؟!

هل يرى الباحث أدنى تقارب بين منهج المؤرخين المسلمين ومنهج المستشرقين ؟! أين الثريا من الثرى ؟!

**هيمنة الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم**  
إن استطلاعك آنفاً تفاصيل ظاهرة الوحي وخصائصه أَلَقَتْ الثقةَ التامةَ في أعماقك بأن النبوة هبة ربانية ، لا أثر لكسب العبد فيها ، وإنما يهبها الله لمن يشاء من عباده دون سعي منه إليها ، إذ لا تجدي في استجلابها جهود ولا في دفعها مقاومة أو انصراف . وشواهد ذلك كثيرة متعاضدة الدلالة ، ذكرنا - من قبل - أهمها ولم نستقص سائرهما .

إن ادراك هذه الحقيقة لا يحتاج إلى كبير فلسفة ولا إلى غوص على فنون علم المنطق وبراهينه . بل تهدي العاقل إليها وقائع الوحي وحقائقه الثابتة في أهم الوثائق التاريخية الدينية ، في القرآن والحديث والسيرة .. وأنت لا تعجب إذا جحد ذلك امرؤ غارق في

(١) سورة المائدة : ١٢ وانظر سورة البقرة : ٧٥ والنساء : ٤٦ والمائدة : ٤١ .

غياهب الجهل أو ملحد غافل عن المعارف اليقينية الاسلامية ،  
ولكنك سرعان ما تملكك الدهشة اذا علمت أن امرءا يزعم أنه  
مؤرخ مؤمن موحد يبحث بحياء موضوعي قد أنكر هذه الحقيقة  
العظيمة البروز ، الشاخنة الذرى ، في سيرة سيد الورى محمد عليه  
الصلاة والسلام .

قال « واط » « ومن المهم أن نعرف ما اذا كان لدى محمد أي  
طريقة لاستجلاب الوحي . ولا نستطيع التأكيد بأنه كان يضع فوقه  
الدثار لهذا الغرض . وفي أغلب الاعتقاد أن الوحي تنزل عليه في  
البداية بصورة غير متوقعة ..

وعلى كل حال فمن المحتمل أنه قد طور أخيراً بعض الوسائل  
الفنية للاصغاء . ربما كان ذلك أثناء تلاوته القرآن متمهلاً في  
الليل .

« مرة أخرى ، هذه الحقيقة - اذا كانت هي حقيقة ، ان محمداً  
كان أحياناً يستحضر تجاربه في الوحي بواسطة الاصغاء أو التنويم  
الذاتي أو أي اسم نحب أن نسميه به - خارجة عن حكم رجل  
الدين بالصحة » (١) .

وسنكشف زيف مزاعم المستشرق في الردود التالية :

**أولاً : خصائص الوحي تلزم بالایمان برأينته :**

يبدو أن تلك الفكرة التي أنتجها « واط » جاءت تبعا لزعمه أن  
الوحي نتاج خيالي أو فكري لمحمد ﷺ (٢) - لذا وجد مساعداً

Mohammad At Mecca, 57-58 (١)

Mohammad At Mecca, 52-57 (٢)

ليزعم أنه يستثيره في نفسه بطريقة مفتعلة . فالوحي بالتالي - في زعمه - نتاج بشري . لكنه أقر بجلاء أنه لم يكن في البداية متكلفاً مصنوعاً ، فقد وافاه بصورة غير متوقعة . وهذا يثير استغراباً كبيراً لدى الباحث !! ؟ فما الذي ميّز الوحي الأول عن غيره في هذا ! ولماذا لا يكون بعده تنزلات تتسم بنفس الوصف ترد الى محمد ﷺ على غير ترقب منه !! ؟؟ ثم هل جاءت حوادث السيرة وحقائق تاريخ الوحي بشبهة برهان على أنه كان بتعمل وكلفة ؟ أم جاءت تثبت بدلائل اليقين أن جميع تنزلات الوحي كانت مستقلة تماماً عن شخصية الرسول خارجة عن نطاق إرادته وتطلبه ومدافعته ؟ بل كانت مهيمنة على شخصيته وإرادته ونزوعه !!

لقد ذكرت مصادر السيرة أن الوحي كان ينزل على الرسول الأمين ﷺ في أي ساعة من ليل أو نهار قائماً أو قاعداً أو مضطجعا ، واقفاً أو راكبا ، منفرداً أو بين أهله أو بين أصحابه في سفر أو حضر . ومن تأمل حنايا السيرة وجد تفاصيل ذلك كله !! (١)

إن الوحي الالهي خارج عن تطلب الرسول واستجلابه . ويكفي ملاحظة دلالة فترة الوحي ، اذ انقطع عن الرسول مدة غير قليلة ، وهو في غاية التلهف للقاءه . كما مكث النبي ﷺ شهراً لا يأتيه الوحي وهو أحرص ما يكون حينئذ على جواب يدفع به احراج تساؤلات اليهود . ولما اشتدت أشواق الرسول الى كثرة الوحي قال

(١) راجع خصائص الوحي ص ٦٣ - ٨٢ .

لجبريل « ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ، فنزلت الآية ﴿ وما نَنزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ (١) .

ثانيا : تجاهل المستشرق أن مزاعمه الزائفة تطعن في اعتقاده بالوحي الى موسى وعيسى أيضاً :

قدم « واط » زعمه طعناً عاماً دون تحديد . فما « الاستماع الفني » الذي نسبته الى الرسول الكريم ؟ ما أوصافه ؟ وما أوصاف ما أسماه « التنويم الذاتي » ليرى الباحث إمكانه ومدى التوافق بينه وبين وقائع السيرة النبوية !!

ولو زاوله أي انسان ؛ هل يثير فيه شيئاً يمكن أن يداني الوحي الى رسول الله عليه صلوات الله وسلامه ؟؟! وان القسيس « واط » لم يتعرض لذكر ما تؤدي إليه مزاعمه في الوحي ، وهو كثرة ظهور الوحي وأنباء الغيب .. وسائر المعجزات العقلية والحسية (٢) على كثير من الناس في كل زمان ومكان ، ما دام شيئاً يمكن - في زعمه - أن يتكلفه أي انسان إذ لا يتجاوز طاقاته البشرية !!

ولماذا لم يعلن الدكتور القسيس أنه يقدر شخصياً أن يأتي بمثل ذلك ؟؟! وما الذي منعه أن يفعل على الرغم من تقادم الزمن على زعمه حتى بلغ من العمر أرذله ؟!!

(١) رواه الامام البخاري في صحيحه - كتاب التفسير - عن ابن عباس رضي الله عنهما . والآية في سورة مريم : ٦٤ .

(٢) أنظر أقسام معجزاته ﷺ في كتابي : بينات المعجزة الخالدة ص ٥١ - ٧٧ .

ولماذا تجاهل القسيس « واط » أن ذلك الزعم الزائف يطعن في  
الوحي الى الرسولين الكريمين عيسى وموسى عليهما صلوات الله  
وسلامه !!؟؟ وماذا يفعل « واط » بعد هذا بمسؤولياته الخاصة في  
الكنيسة !!؟؟

### ثالثاً : اعراض المستشرق عن وثائق الوحي الثابتة :

لو نظرت في تفاصيل ظاهرة الوحي وخصائصه لوجدت حديث  
عمر بن الخطاب عن قدوم جبريل بصورة رجل الى رسول الله ﷺ  
ومسائلته وافادة الصحابة عن أركان الاسلام والايمان وعلامات  
قيام الساعة ما كان الا صحواً بغير نوم وجلوساً بغير دثار ، وبدون  
سابق تلاوة أو تسمع فني مبتكر في عصر الأمية وجزيرتها ؟!  
وحديث عمر هذا صحيح تماماً ، مروي في صحيحي البخاري  
ومسلم وغيرهما وأنت يا « واط » استشهدت بأحاديث من  
البخاري ، وجعلته من مصادرك في مقدمة الكتاب ، فلا يمنع من  
قبول هذا الحديث أمر علمي من داخل النص أو خارجه ! اللهم  
الا أن تلعب البواعث الاستشراقية دوراً سلبياً ههنا خاصة !!  
ومما يثير انتباه القارئ عدم ذكر المؤلف هذا الحديث الهام في  
الوحي ، بل عدم ذكره جميع تفاصيل ظاهرة الوحي التي أسلفنا  
بيانها - فيما عدا ما أشرنا اليه من روايات الزهري - ثم خوض  
المستشرق في تفسيرات للوحي كثيرة غير مبنية على أساس اطلاقا ..  
ولا يساعده على ايرادها شيء لو كان ذكر تفاصيل الوحي كما وردت  
في أوثق مصادر التاريخ !! فسبب اعراض المستشرق عن ذكرها

انما هو دلالاتها البليغة وبراهينها المفحمة التي تنسف تقولاته في اليم  
نسفا . ولم يكن هذا الاعراض اكثر من التزام المنهج الاستشرافي في  
الامانة العلمية وفي البحث الحيادي الموضوعي المعهود !!

استطلع الآن وثيقة ثانية من وثائق الوحي الى رسول الله  
ﷺ : روى البخاري أن يعلى قال لعمر بن الخطاب رضي الله  
عنها : أرني النبي ﷺ حين يوحى اليه . قال : فيبنا النبي ﷺ  
بالجعرانة ومعه نفر من أصحابه جاءه رجل فقال : يا رسول الله !  
كيف ترى في رجل أحرم بعمره وهو متضمخ بطيب . فسكت النبي  
ﷺ ساعة فجاءه الوحي ، فأشار عمر رضي الله عنه الى يعلى فجاء  
يعلى وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظلم به ، فأدخل رأسه ، فاذا  
رسول الله ﷺ مُحمر الوجه ، وهو يغطُّ ثم سُرِّي عنه . فقال : أين  
الذي سأل عن العمرة ، فأُتي برجل . فقال : اغسل الطيب الذي  
بك ثلاث مرات ، وانزع عنك الجبة ، واصنع في عمرتك كما  
تصنع في حجتك<sup>(١)</sup> .

أفادتنا هذه الوثيقة الصريحة أن رسول الله ﷺ قد نزل عليه  
الوحي في سفر . فأين التحضير الذي تقوله المستشرق « واط » ؟!  
أين اثارته بتلاوة متمهلة للقرآن ليلا ؟! وأين طريقة التسمع  
التقنية ؟! وأين اتخاذ الدثار ؟! بل كان الرسول في حالة عادية  
طبيعية تماماً في نفر من أصحابه في سفر . وسكت النبي ﷺ ساعة

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي ، والملفظ من صحيح البخاري - كتاب الحج - باب  
غسل الخلق من الثياب . وعند مسلم في باب ما يباح للمحرم ، والنسائي في باب  
الخلق للمحرم من كتاب الحج أيضاً .



ولم يجب السائل على مسأله السيرة ﴿وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحي يوحى﴾ (١) .

ثم استطلع عناء زيد بن ثابت واحتماله . قال زيد بن ثابت : « أنزل الله على رسوله وفخذهُ على فخذِي فنقلتُ حتى خفتُ أن تُرضَ فخذِي » (٢) . وقالت عائشة رضي الله عنها : « وإن كان ليُوحى إليه على ناقته فتضرب جرائها ، من ثقل ما يُوحى إليه » (٣) . هذه الوثائق من جملة الوثائق الكثيرة التي تكشف زيف تقول المستشرق وتعرضه في الإعراض عن إيرادها واستبانة دلائلها - لو افترضت أنه بلغ في العلم رتبة الاطلاع عليها وفهمها - فقد تجل لك بوضوح أن الوحي أمر الزامي غير مرتقب . وانك تجد ههنا دلائل اضافية تبين أن الوحي خارج عن ارادة محمد ﷺ ، مهيمن على ذاته ، فان هذه الاعراض الجسدية وآثارها على الغير لا يمكن أن تُستجلب ولا أن تُدفع . ويزيد هذه الحقيقة جلاء سماع الرسول ﷺ صوتاً يبلغ آذان الجمهور حوله كدوي النحل (٤) . وهذا

(١) سورة النجم ٤/٣ .

(٢) رواه البخاري في صحيحه - تفسير سورة النساء .

(٣) رواه الامام احمد والبيهقي في الدلائل . (والجبران) : باطن العنق . انظر شرح

المواهب ج ١ ص ٢٢٩ وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ٤٣٥ وفتح الباري ج ١ ص ١٧ نص على ذلك حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أنزل الوحي يُسمع عند وجهه كدوي النحل ، فأنزل عليه يوما ، فكنا ساعاً ثم سرى عنه ، فقرأ : « قد أفلح المؤمنون - إلى عشر آيات منها من أولها » وقال : « من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة » ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال : اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا ، وأعطنا ولا تحرمنا ، وأنثرنا ولا تؤثر علينا ، اللهم أرضنا وارض عنا » أخرجه الترمذي بلفظه : كتاب التفسير - باب ومن سورة المؤمنين . وأخرجه النسائي والامام احمد والحاكم وصححه .

وأظهر فتح الباري ج ١ ص ١٥ وشرح المواهب ج ١ ص ٢٢٩ وجامع الاصول ج ١١ حديث ٨٨٤٧ طبعة دمشق .

يكشف عن تغاير ظاهرة الوحي تغيراً تاماً عن أي تكلف شخصي كالتنويم الذاتي ونحوه . والحق أن المستشرق « واط » لو التزم جانب الانصاف لأعلن لدى اقراره بحصول الوحي الأول عن غير ترقب - أن الوحي الى محمد خارج عن ذاته وارادته وتطلعاته ، ولشهد أن محمداً رسول الله حقاً وصدقاً .

رابعاً : التفسير من علماء الاسلام من خطة المستشرقين في  
تضليل الناس :

دأب ذلك المستشرق على ايراد كلمة : رجل الدين Theologian في كل أمر يريد أن يرده زاعماً عدم صحته . انما عني بها - حسب سياق كلامه - العالم الاسلامي المتمكن من علومه . ومن جملة ذلك زعمه : أن النبي ﷺ يستحضر الوحي بواسطة التنويم الذاتي - كما أسماه - وأن الحكم على زعمه هذا بالصواب أو الخطأ خارج عن اختصاص العالم الاسلامي المختص . لماذا جاز لمن زعم أنه مؤرخ أن يتطاول ويعطي لنفسه - بوقاحة - حق الوصاية على حقائق دين الله تعالى وعلى عقول علمائه ، تحت ستار البحث التاريخي ، ينكر ما ينكر ويضيف ما يريد ويطعن كما يهوى ، ويورد مزاعمه الباطلة جزافاً بغير دليل على أنها حقائق وأن ما عداها باطل ؟؟! ثم يزعم أن ذاك اختصاصه فيجب قبول أحكامه فيه ! ومن أجل حماية مزاعمه من الفضح والتزيف . أوجب المستشرق على القارئ أن يرفض أقوال علماء الاسلام وتفسيراتهم ومناقشتهم العلمية المدعمة بالبراهين الساطعة والدلائل الدامغة على ما حصل في التاريخ حقيقة .

لماذا يجب رفض أقوال علماء الاسلام في هذه المواطن ؟؟؟  
ألأنهم ساقوها مجردة عن الدلائل المعقولة - على طريقة المستشرق -  
أم لأن المستشرق عاجز عن الصمود أمام صولة الحق الذي  
يبينون ؟! أم لأن أبحاثهم ودلائلهم تنسف مزاعمه ومزاعم أضرابه  
فتجعلها هباء منثورا ؟!!

هل أنت في القرون الوسطى حيث حجر رجال الكنيسة على  
العقول وكمموا الأفواه عن قول الحق والدفاع عن الحقيقة ؟! لقد  
زعموا أن لتلك الأبحاث أسراراً خاصة بهم ، فهل تريد أن تعود  
- من داخل كنيستك - بالمجتمع الانساني الى تلك القرون  
القائمة ؟!

ان الانسان المعاصر المثقف الواعي يزن المسائل بميزان الحق  
والمنطق السليم ، فما كان صواباً أخذ به ، وما كان غير ذلك ضرب  
به عرض الحائط . واذا كانت أساليب المخادعة تنطلي زمناً فانها  
سرعان ما تنفضح .. واذا خدعت بها أناساً بسطاء لا علم لديهم فان  
العلماء والعقلاء ينتبهون لها وينذونها ..

ان القارئ النبيه يطل على المستشرق يطالبه : طالما عجزت عن  
نقض حقائق الوحي التي تمسك بها علماء الاسلام كما دلت عليها  
النصوص صراحة فأنت مطالب أن تورد - على الأقل - أدلة على  
صحة كلامك !! فأين هي الأدلة المقنعة على عدم بطلان  
مزاعمك ؟!

ان مزاعمك الزائفة المغرضة تتراحم في صفحات الكتاب  
الصغير . والذي يسمع بها يعجب كيف وجدت لها مستقراً في هذا

الزحام ؟! فإذا اطلع بنفسه على طريقة إيرادها ، ووجدها عارية عن الأدلة ، شاذة عن أي أسلوب علمي مقبول .. تلاشي عجبه وثار تساؤله :

لماذا أرسل - « واط » - مزاعمه هكذا سهلاً ؟!  
أقول : بناء على طريقة الاحتمالات ؛ وبالأحرى حيلة الاحتمالات ؛ التي اعتمدها المؤلف في كتابه ؛ يتمكن كل قارئ لبيب أن يرد على المؤلف بقوله :

يحتمل أن يكون المستشرق جاهلاً بهذه الموضوعات جهلاً مطبقاً ، ويحتمل أن يكون اطلع عليها وعجز عن فهمها !!  
ويحتمل أنه استحال عليه أن يحيك شيئاً من البراهين ليدافع به الخلط والخبط عن تفكيره ونهجه !!

أجل يستحيل عليه وعلى غيره الى الأبد أن يورد أدلة معقولة مقبولة على ما يخالف الحقائق الاسلامية . ذاكم هو التحدي الكبير !! ذاكم من براهين الحق المبين !! ﴿ بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ﴾ ولكم الويل مما تصفون ﴿<sup>(١)</sup> .

### زعمهم أن القرآن من إلهام الرسول الذاتي

ذهب المستشرقون وملاحدة العصر إلى رأي جديد - في نظرهم - فهم يُسلمون بأن محمداً صادق عاش حياة مستقيمة شريفة عفيفة . زهد في الدنيا واستعلى على مطامعها وشهواتها .

(١) سورة الأنبياء : ١٨ .

ويزعمون أنه لما رأى الناس في فساد ، ورأى نفسه قد علم ما لم يعلموا ، وأدرك ما قصرت نفوسهم عن إدراكه ، فحُيِّل إليه أنه مرسل إليهم من الله تعالى لاصلاحهم قال المستشرق اليهودي المجري (جولد تسهر) :

« ففي مكة كان ( أي محمد ) يشعر أنه نبي يتم برسالته سلسلة رسل التوراة وأن لهذا عليه مثل ، أولئك الرسل ، أن يقوم بانذار أمثاله في الانسانية وانقاذهم من الضلال » .

ثم قال : « ففي العصر المكي جاءت المواعظ التي قدم فيها محمد الصور التي أوحتها اليه حميته الملتبة في شكل وهمي خيالي حاد تلقائي ذاتي .. بل يظهر لجموع معارضيه ومناقضيه العقيدة السائدة في نفسه ، عن قوة الله خالق العالم وربّه وسلطانة غير المحدود ، وعن اقتراب يوم الحساب الذي يتمثله ويراه في الرؤى الوحيية فينتزعه من راحته انتزاعا » .

ثم يعمم حكمه على الرسل جميعا فيزعم أن « الرسالة التي يأتون بها بدافع ادراكهم المباشر ، وكذلك المعارف الدينية التي يوقظونها » <sup>(١)</sup> .

والى مثل هذه المزاعم ذهب درمنغام ، فرأى ان محمدا كان مستاء من أوضاع قومه وأصنامهم وخرافاتهم ، وأنه اطلع على النصرانية واليهودية ، وعرف أن الله يبعث للاقوام كلما ضلوا رسولا ينقذهم ، ثم قال : « ووجد في وحدة غار حراء مسرة تزداد كل

---

(١) أنظر العقيدة والشريعة لجولد تسهر معرب ص ١٩ و ٢١ و ٧٧ طبعة ثانية دار الكتب الحديثة - مصر .

يوم عمقا ، وجعل يقضي الاسابيع ومعه قليل من الزاد ، وروحه تزداد بالصوم والسهرة والادمان على تقليب فكرته صقالا وحدة ، ونسي الليل والنهار والحلم واليقظة .. وجعل يقضي الساعات الطوال جاثيا في الغار أو مستلقيا في الشمس أو سائرا بخطوات واسعة في طرق الصحراء الحجرية . وكأنه يسمع الأصوات تخرج من خلال احجارها تناديه مؤمنة برسائله ، وقضي ستة أشهر في هذه الحال حتى خشي على نفسه عاقبة أمره .. وفيما هو يوما نائم في الغار جاءه ملك فقال اقرأ ..<sup>(١)</sup> .

نبدأ المناقشة بتمحيص الاقوال الواردة ، لنعرف هل هي صحيحة نقلا وعقلا ؟ أم هي باطلة مرفوضة عقلا ؟

تعال معي نُتَقَب بطونَ كتب الحديث ، بل السيرة والتاريخ أيضا ، لترى هل ورد فيها شيء من تلك الحوادث التي زعمها هذا المخلوق !!

### صحة نفسية وعصية وافرة مدى العمر :

ستجد أن الرسول قد خلا بنفسه في غار حراء يتعبد كما ورد في الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما ، لكنك بعد أن تجوب بنظرك آفاق المراجع لترى هل نسي محمد الليل والنهار والحلم واليقظة وقضي الساعات الطوال جاثيا في الغار أو مستلقيا في الشمس وأنه بقي ستة أشهر كذلك . لو فتشت عن مثل هذا لارتد اليك طرفك خائبا يائسا ، ولقدفت أمواج فؤادك الغناء الذي قاءته عقلية الرجل

(١) الوحي الحمدي رشيد رضا ص ٨١ طبعة خامسة - مطبعة صبيح وأولاده .

الفرنسي ( درمنغام ) أو غيره ، دون أن يأبه ما اذا كان لادعائه بعض الصلة بالحقيقة أم لا .. لقد استفرغ جهده لحبك للناس أسطورة توهمهم أن محمداً قد خارت - في الغار - قواه العقلية والعصبية والنفسية ، وسيطرت عليه الهواجس والخيالات والالهام نحواً من ستة أشهر - حسب زعمه - فأدخل ذلك في روعه أنه غدا رسولا من الله . ولكنك تعلم أن الذي يقع فرسة تلك الحال المرضية المزعومة ، لا يعقل أن يصدر عنه الحديث عن الالهيات والنبوات في أسمى صورها ولا التشريعات الناجعة لحل أعنى مشاكل الحياة ، ولا ذلك الذكر الحكيم بأسلوبه الأخاذ البالغ المعجز ..  
فأين يذهبون .. ؟!

هذا تاريخ الأدب العالمي برمته فتشه بدقة وحصافة ، هل تجد فيه أدبياً أصيب ببعض ما نسبته هذا الخاقد ( درمنغام ) وأمثاله الى رسول الله ﷺ زوراً وبهتاناً ، ثم أنتج ذاك الأديب في خياله وهوسه نصاً أدبياً مقبولاً ؟؟؟ فكيف يتوهم العاقل ذلك في صدور كتاب الاعجاز الخالد الذي قعدت همم أذكى الأذكياء من البلغاء والفصحاء والعلماء عن معارضته ؟؟؟ بل كيف يستسيغ عاقل سليم القلب أن يهرب من الاقرار بأن القرآن العظيم تنزيل من الله العزيز الحكيم ؟؟؟

لذلك فما عليك الا أن تضرب عن ذكر مزاعمه اعراضاً ، فهي زائفة عقلاً باطلة نقلاً . وارنُ بقؤادك وعقلك الى أصح ما ورد بهذا الصدد وهو ما رواه البخاري ومسلم ، وقد ذكرنا لفظ البخاري في مطلع هذا الباب . وعليك أن تتبه دائماً الى أن المستشرقين يشوهون

الأقوال والحوادث أو يختلقونها ، ثم يقدمون مزاعمهم تلك على أنها وثائق علمية لا جدال فيها ، مع أنها مفتراة لا صحة لها ، فلا يتقبلها أحد الا الجهلة والسفهاء والمخدوعون<sup>(١)</sup> .

### والجنون والعبقرية لا يجتمعان :

ومضي المستشرقون يقبلون الرأي ، فزعموا أن محمدا رجلا عبقرى ازدادت أفكاره حدة وصقلا بعزله .

فاذا كان الحديث عن العقيدة والتشريع صادرا عن نبوغه ، فلماذا لم يحدث الناس عن شيء من ذلك طيلة الأربعين سنة السالفة من عمره ؟! ولماذا لم ينقل لنا التاريخ عنه أنه قد أبدى بعض أفكاره الإصلاحية لقومه قبل .. ؟

والحقيقة أن محمداً لم يستشرف النبوة ، ولم يتطلع إليها ، ولم يطمح ذات يوم فيها . فهل حديثه بهذا الأمر الجلل الخطير مرة واحدة دون تمهيد دليل على صدوره عن فكره اللامع ، أم هو دليل على أن شيئا لم يكن لديه عهد به ، قد جاءه وأمر بتبليغه ، وأنه ليس إلا وحيا أوحاه الله إليه !! ؟

لقد حار المستشرقون في نبوة محمد ﷺ حيرة الجاهليين ، أينسبون القرآن والوحي الى غيره فيزعمون بأنه تلقفه من هنا وهناك - كما رأيت مزعمهم قبل - أم يردونه الى ذات محمد وشخصه فيزعمون أن ما جاء به نتاج الفكر العميق والمشاعر المرفهة فهو شاعر أو كاهن ﴿ فلا أقسم بما يُبصرون وما لا يُبصرون . إنه لَقَوْلُ رَسُولٍ

(١) وقد كشفت ذلك في فصول من « الاحرف السبعة في القرآن » .



كريم وما هو بقول شاعرٍ قليلاً ما تُؤمنون ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تذكرون . تنزيلٌ من رب العالمين ﴿١﴾ .

وكما زعم (درمنغام) أن محمداً قد قلب أفكاره حتى زادها حدة وصقلاً ، زعم (جولد تسهر) أن رسالات الرسل إنما هي حصيلة إدراكهم المباشر ومعارفهم الدينية التي حفظوها حين أهملها الناس وغفلوا عنها .

ما الرسول - في نظر المستشرقين - إلا متعلم مفكر . فأبي فرق بينهم وبين الجاهليين في هذه المسألة ؟ ويصورون الرسول الى جانب كونه متعلماً مفكراً انه رجل الرؤى والأوهام والخيالات التي ملكت عليه نفسه فصورت له يوم الحساب وانترعته من راحته انتزاعاً وصورت له قدرة الله وحكمته حتى توهم بأنه يتلقى خطاب ملك الوحي فيبلغه بأنه رسول الله .. فهذا هو الوحي النفسي ..

لو أَعْمَلْتَ فِكْرَكَ بتجرد أتحكمُ على رجل تراءى له الأُخيلة وتدخل نفسه الأوهام أنه انسان عاقل ؟ أم تحكم بأن في عقله لُوثَةٌ إن لم تقل إنه مجنون ؟

كذلك قال المستشرقون كقول المشركين قبلهم .. تشابهت قلوبهم المريضة ونفوسهم المتجبرة . فرغموا ، تخلصوا من الحقيقة ، اجتماع عم الفكر وقوة الذهن مع الجنون والخيال في امرئ واحد ﴿أني لهم الذكرى وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ ثم تولّوا عنه وقالوا معلّمٌ مجنون .. ٤٢﴾ ﴿٢﴾ .

(١) سورة الحاقة : ٣٨ - ٤٢ .

(٢) سورة الدخان : ١٣/١٤ .

ولو نظرت في الشريعة الاسلامية وما فيها من حكم ومواعظ  
وأحكام تشريعية سامية وأخلاق رفيعة لأثار فيك ذلك تساؤلا :  
هل يصدر كل ذلك التعقل والحكمة عن الجنون واختلال المشاعر ؟  
ومتى كان الجنون منبع الحكمة ، والفساد مصدر الخير ؟

ثم انظر في سيرة سيد الخلق محمد ﷺ . هل تراه كان مبتلى  
بالغفلة والبلاهة فيترأى له ما يترأى ؟ أم تراه بنى مجتمعا قويا على  
دعائم وطيدة ، وقاد معارك النصر والظفر ، وأسس دولة عظيمة  
على أسس منيعة منحتها قوة للاتساع بعده من جبال الصين شرقا الى  
حدود فرنسا غربا ؟ ان محمدا وكافة الرسل قبله ، قد اشتهروا  
بالتعقل والنباهة والفتنة قبل النبوة وبعدها . يعترف لهم بهذا  
أتباعهم وأعداؤهم على السواء .

وهنا تتيقن أن مثله في نباهته وبقظته وذكائه لا تختلط عليه  
الأموار ولا تغلبه الأوهام والهواجس .

مشاكلة دعوى المستشرقين في الوحي النفسي دعوى المشركين :  
ولعلك يلج بك العقل فيأبى التسليم بأن دعوى المستشرقين في  
الوحي النفسي مشاكلة اتهام المشركين الرسول بالجنون .

فالليك ما زعمته قريش على لسان عتبة بن ربيعة مرة وعلى لسان  
جماعة منهم مرة أخرى . هاهو ذا سيد من قريش : عتبة بن ربيعة .  
يتوسط بين رسول الله وبينهم لاصلاح ذات البين . فيعرض عليه  
أمورا لعله يقبل بعضها ، فيقول : يا ابن أخي ان كنت انما تريد بما  
جئت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى

تكون أكثرنا مالا ، وان كنت انما تريد به شرفا سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك ، وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا ، وان كان هذا الذي يأتيك رثيا تراه ولا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتي يدواى منه .. فقال رسول الله : « أو قد فرغت يا أبا الوليد ؟ » قال : نعم ، قال : « فاستمع مني » قال : أفعل . فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من أول سورة فصلت .. (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فضّلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون ﴾ (٢) .

ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرأها عليه فلما سمع عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليها يستمع منه حتى انتهى رسول الله ﷺ الى السجدة منها فسجد ، ثم قال : « قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك » فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به . فلما جلس اليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني سمعتُ قولاً والله ما سمعتُ مثله قط ، والله ما هو

(١) أنظر سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣١٣ - ٣١٥ تحقيق محي الدين عبد الحميد طبع المكتبة التجارية الكبرى - مصر . وانظر في ذلك ما رواه الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٦٢/٦٣ .  
(٢) سورة فصلت : ١ - ٤ .

بالسحر ولا بالشعر ولا بالكهانة . يا معشر قريش أطيعوني واجعلوها لي ، خلوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه . فوالله ليكوننَّ لقوله الذي سمعت نبأ ، فإنَّ تُصبه العربُ فقد كُفّيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعد به . قالوا : سحرك والله أبا الوليد بلسانه . قال : هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم .

وقد روى الحفاظان البزار وأبو يعلى الحادثة نفسها على غير هذا النقط ، غير أن سياق ابن اسحاق أشبه مما عندهما - كما قال ابن كثير - والله أعلم<sup>(١)</sup> .

وهكذا ترى أن المشركين يزعمون أن بعض الجن يتراءى له فيوهمه أنه رسول . وأن المستشرقين لم يبعدوا النجعة عن قلوبهم . والظاهر أنهم قد ولدوا رأيهم من رأيهم ولم يختلفوا عنهم بشيء ، فهؤلاء عبروا حسب مفاهيمهم «الوحي النفسي والرؤى والخيالات» وأولئك عبروا وفق مفاهيمهم أيضا «الجن والشياطين» وكانوا يسمون التابع من الجن (رَئِيًّا) . وقد ألزمهم الله الحجة بقوله :

﴿وما تنزلُ به الشياطينُ . وما ينبغي لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون .. هل أنبئكم على من تنزلُ الشياطين ؟ تنزلُ على كل أفاكٍ أثيم﴾<sup>(٢)</sup> .

انه ليمتنع ويستحيل على الشياطين أن تأتي بمثله . فانه لا ينبغي

(١) تفسير ابن كثير : ج ٤ ص ٩٠/٩١ .

(٢) انظر تمام الآيات في الشعراء : ٢١٠ - ٢٢٢ .

لهم ، وانهم لا يبتغونه ولا يتطلبونه لان سجاياهم الفساد واضلال العباد . وفي هذا القرآن أمر بالمعروف والخير ونهى عن المنكر والشر ، وهو هدى وايمان ونور وشفاء لما في الصدور . وانهم ممنوعون محجوبون عن الاستماع لما يُوحيه الله الى عباده المرسلين<sup>(١)</sup> . ومحمد معروف خلقا وفضيلة ، وأدبا وصدقا واحسانا . والشياطين تغاير صفاتهم صفاته فكيف يألفونه . والجنس إنما يألفه الجنس .. ؟

ولو كان هذا الذي يقوله محمد صادرا عنهم لاحتوى مديحهم والثناء عليهم واعلاء شأنهم . بينما لو أجلت الطرف في آيات القرآن لوجدت فيها غضبا عليهم ولعنا كبيرا ، وتجهيلا وتكذيبا لهم وكشفا عن ضعفهم ، وأنهم ليس لهم على الذين آمنوا سلطان<sup>(٢)</sup> .

تبين لك مما ذكرنا أن المستشرقين أطلقوا - أحيانا - مزاعمهم تكرارا مملولا سخيلا لثرهات الجاهلية واغترفوا بعضها من غير تثبت ولا روية ، وغيره حسب أهوائهم في أحيان أخرى ، فجاءت مزاعمهم سمجة ممجوجة يأبأها العقل . وقد رأيت ما نقضها من أساسها .

لقد دأب المستشرقون على تنميق الكلام وتزويقه ودعوى التزام قواعد البحث العلمي .. ثم تراهم أمام المسائل الاسلامية - والاساسية منها خاصة - يزعمون ويزعمون .. يفترون ويختلقون ..

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٢) قال تعالى : ﴿وَإِذَا قُرَأَ الْقُرْآنُ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ . إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴿ سورة النحل : ٩٨ - ١٠٠ .

لعل ذاك الركाम الوفير الهائل من الأضاليل والمفتريات يشوش  
 الاذهان ، ويعرقل زحف الدعوة الظافر في الشعوب فيطمس معالم  
 الحقيقة ويطفيئ شعلة الهداية ، أو يخمّد جذوة حماس المؤمنين بالله  
 المكافحين لاحقاق الحق وازهاق الباطل ، ولا تلبث بشيء من  
 التفكير والأناة في مطالعة الحقائق من مصادرها ، أن تستبين وجه  
 الحقيقة الناصع فتطوح بتلك الآراء المغرضة الهدامة ، فتصبح أثرا  
 بعد عين .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ  
 الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> .

---

(١) سورة الأنبياء : ١٨ .



## الخاتمة

### توصيات ومقترحات

أولاً : العناية بالرد على المستشرقين المغرضين : وأن يكون ذلك مشتملاً على ما يلي :

( أ ) كشف فساد مزاعمهم وابطال تقولاتهم على النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وعلى الشريعة الإسلامية كافة ، وإظهار تحاملهم .

( ب ) كشف أغراضهم ودوافعهم وفساد مناهجهم والتواء أساليبهم .

( ج ) ألا يقتصر الباحثون على سرد مزاعمهم ثم تسليط الردود عليها ، بل ينبغي أن تُعطى الصورة الصحيحة عن البحث بكتابة مستقلة ، وتلحق بها الردود على تحركاتهم في ذلك البحث . وهذا ما عمدنا إليه في كتابنا هذا .

ثانياً : ان خطة الغرب في اشغال الشرق بنفسه والتسبب في تضعف أحواله الثقافية وغيرها يجب ألا تجعل الباحثين في موقف الدفاع فحسب ، بل عليهم أن يشنوا الغارة على الغرب في عقائده الزائفة ومدنيته الجائرة وسياساته الاستعمارية المتسلطة ومفاهيمه الاخلاقية المنحرفة . ويدخل في هذا مناقشة المستشرقين وغيرهم



وكشف زيف عقائدهم اليهودية والنصرانية والاحادية !! فلهجوم عليهم وجعلهم في موقف الدفاع أمر هام .

ثالثا : دعم المستشرقين المسلمين الصالحين ماديا ومعنويا ، وتنشيط نشر كتبهم ، ومداولتهم فيما يتخذونه من آراء وعقد مؤتمرات تخصهم وتخص حركتهم الفكرية وحالة الاسلام عامة في الغرب . وهـ ١٨ في رأينا من أهم عوامل نشر الاسلام في الغرب ، فان هؤلاء أدرى بمنطقه ومؤثراته ! .

رابعا : افتتاح دورات دراسية اسلامية خاصة بالمستشرقين في إحدى الجامعات السعودية ، وتشجيعهم على التزامها بالاساليب المناسبة . فعمل ذلك يقوم من اعوجاج آراء الخاطئين منهم ويزيد الله به الذين اهتدوا هدى . ولا ننسى أن أبناء الشعوب الاسلامية يحصلون على درجة الدكتوراه من هؤلاء . فالعناية بثقافتهم وتصويب آرائهم عناية بسلامة الفكر الاسلامي فيمن ينال الدرجات العلمية منهم .

خامسا : ولا يجوز شرعا تلقي العلم الاسلامي عن غير المؤمنين . وواجب البلاد الاسلامية أن تمتنع عن ارسال أولادها لنيل الشهادات الاسلامية من المستشرقين غير المسلمين . بل على الهيئات العلمية الاسلامية أن ترسل بعض العلماء للمدارسة والمناقشة وتقديم التآليف في ذلك الى هذه الهيئات العلمية الاسلامية لتتولى - دون غيرها - توجيهها وتقييمها ، ولتكون الصلة بالمستشرقين صلة باحث يباحث لا صلة تلميذ مفتقر الى الشهادة من أستاذ يمنح هذه الشهادة العلمية ! .

سادسا : ان مشكلة الجهل باللغة العربية تحمل أبناء المسلمين غير العرب على التوجه الى الغرب للدراسة الاسلامية ويمكن حل هذه المشكلة باحدى طريقتين :

أولاهما : تدريس العلوم الاسلامية باللغة الأجنبية .  
ثانيها : تعليم هؤلاء الشباب اللغة العربية في دورات تؤهلهم لمتابعة الدراسة العليا في الجامعات الاسلامية .  
ولابد من افتتاح معاهد عليا لهذا الغرض بعد دراسة وافية عن الطريقة المناسبة .

سابعا : ترجمة أوثق كتب السيرة القديمة والمعاصرة الى أشهر اللغات العالمية ، لتقف سداً منيعاً أمام التخرصات ، اذ يكون بمقدور جماهير المثقفين الاطلاع على الصورة الواقعية لسيد المرسلين فتتجذب قلوبهم الى حبه وحب رسالته ، ولا يغيب عن بال عالم أن كتاب السيرة الوثيق من أفضل أساليب الدعوة الاسلامية في كل زمان ومكان .

ثامنا : ان المجتمع الاسلامي المعاصر بعمره وعجمه بحاجة الى كتاب سيرة جديد يبين أموراً أساسية بالاضافة الى ما درجت على تبيانه كتب السيرة . وتلك في نظرنا كما يلي :

١ - تبيان حالة العالم قبل الاسلام ، وما كانت عليه الأمم من فساد في الأديان والأخلاق والأنظمة الاجتماعية .. فقد انقطع الأمل من كل مصدر بشري لانقاذ الإنسانية . ليبين هذا للقارئ أن بعثة الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام انقاذ من الله للإنسانية من الظلمات الى النور .

٢ - المقارنة والموازنة بين صفات العرب يومئذ وبين صفات شعوب العالم . وتبيان ظروف كل منها .. لتتضح حكمة الله البالغة في اختيار العرب لحمل خاتمة رسالاته .

٣ - أن يظهر الكاتب من خلال جميع أبحاث السيرة صفات صاحب السيرة الحميدة وبخاصة الرئيسية منها وهي أنه نبي الله ورسوله . وأنه صلوات الله عليه قدوة للانسانية في جميع تصرفاته وآدابه . فالسمة الأساسية للبحث أنه سيرة رسول من الله رب العالمين فليست سيرة صاحب « عبقرية » ولا سيرة « قائد عربي » انه رسول الله حقاً وصدقاً وليس « رسول الحرية » فعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده وغاية براعته في تجلية معالم هذه الخصيصة الاساسية في كافة جوانب بحثه .

٤ - ابراز وجوه حاجة الانسانية قديماً وحديثاً الى رسالته والى الاقتداء به والاهتداء بهديه .

٥ - خلود رسالته ﷺ وعمومها للبشرية جمعاء وتساوي شعوبها في توجيه الخطاب الالهي اليها ، وفي ترتب المسؤولية عن هذه الرسالة .

٦ - تبيان مناحي ظاهرة الوحي ؛ وفقاً للكتاب والثابت من سنة النبي الكريم وسيرته ؛ وسلامتها من توهم الواهين وتخرص الطاغين الحاقدين المغرضين .

٧ - ان أفعال الرسول الموفقة ونصره المؤزر انما تم بتأييد الهي يمنحه الله لعباده المرسلين ، فهي من معالم نبوته ﷺ ، وهي تغاير تماماً العبقرية البشرية والبراعة الشخصية .

٨ - إن الله تعالى أيدته بدلائل الحق وبراهين الصدق من معجزات حسية ومعجزات عقلية وبشارات كتابية في الكتب السماوية السابقة<sup>(١)</sup> . ويحسن ههنا أن يشتمل كتاب السيرة على أهم الردود على منكري المعجزات المادية لسيدنا محمد ﷺ من مستشرقين ومتابعين .

تاسعا : أن لا يقتصر الباحث في السيرة على المواضيع والحوادث التي أوردتها كتب السيرة ، بل عليه أن يستقي من القرآن والسنة وكتب التفسير والحديث والسيرة والعقيدة جميع الوثائق والبيانات والمعلومات التي تتصل بشخص محمد ﷺ وسيرته الاجتماعية والعائلية وتلقي ضوءاً على نبوته وحقيقته رسالته .

وقد حظي بكثير من هذه المزايا كتاب الاستاذ العلامة الشيخ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله وكتاب الاستاذ العلامة الداعية الشيخ أبو الحسن الندوي حفظه الله وكلاهما بعنوان : « السيرة النبوية » .

عاشرا : ان يقوم الكتاب الاسلاميون الناقدون للاستشراق والمسؤولون عن المؤسسات العلمية الاسلامية بمطالبة كل مستشرق يبحث في السيرة النبوية بحثاً مغرضاً أن يقدم منهجه في نقد الأخبار في مختلف أحوالها من اتفاق وتعارض واتصال وانقطاع .. الخ ليكون ذلك محور ارتكاز في نقاش المستشرقين ، كما يكون صمام انضباط لهم لدى رغبتهم ارسال الآراء المسمومة في مقالاتهم سهيلاً !

(١) أنظر كتابنا : « نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في القرآن » ص ٢٣٥ - ٢٤٧  
وص ٢٩٩ - ٣٣٨ و « بينات المعجزة الخالدة » ص ٥٢ - ٩٠ .

ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . واغفر لنا إنك أنت  
الغفور الرحيم . صلى الله على سيدنا محمد خاتم المرسلين وعلى آله  
وصحبه والمهادين بهديه الى يوم الدين .

## المراجع

### ( أ ) القرآن الكريم وعلومه :

- القرآن الكريم كتاب الله تبارك وتعالى .  
جامع البيان عن تأويل آي القرآن - محمد بن جرير الطبري - طبعة  
مصطفى البايي الحلبي الثانية وطبعة دار المعارف - مصر .  
مفاتيح الغيب - المشهور بالتفسير الكبير - الفخر الرازي - ط .  
عبدالرحمن محمد - مصر  
البحر المحيط - محمد بن حيان الاندلسي - مطبعة السعادة - مصر .  
الجامع لأحكام القرآن - محمد بن احمد الانصاري القرطبي - ط .  
دار الكتب المصرية .  
تفسير القرآن العظيم - عماد الدين بن كثير - طبع عيسى البايي الحلبي -  
مصر .  
أنوار التنزيل وأسرار التأويل - عبد الله بن عمر البضاوي - مكتبة  
الجمهورية - مصر .  
روح المعاني - محمود الألوسي - الطبعة المنيرة الأولى - مصر .  
المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني - طبعة مصطفى  
الباي الحلبي - مصر .  
صفوة البيان لمعاني القرآن - حسين مخلوف - ط . مصر .  
التفسير الموضوعي - امالي الشيخ محمد السماحي - للدراسات العليا  
بكلية أصول الدين بالأزهر .

اعجاز القرآن - أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني - دار المعارف - مصر .

البرهان في علوم القرآن - محمد بن عبد الله الزركشي - عيسى البابي الحلبي بمصر .

الاتقان في علوم القرآن - جلال الدين السيوطي - الطبعة الثالثة مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر .

مناهل العرفان - محمد عبد العظيم الزرقاني - الطبعة الثالثة - عيسى البابي الحلبي - مصر .

## (ب) الحديث النبوي وعلومه :

صحيح الامام البخاري - ط . عيسى البابي الحلبي - مصر .

صحيح الامام مسلم - ط . عيسى البابي الحلبي . مصر سنة ١٩٥٥ .

جامع الترمذي - مطبعة الصاوي - مصر .

المستدرک - للحاكم النيسابوري - ط . الهند .

مسند الامام احمد - المطبعة الميمنية - مصر .

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد - علي بن أبي بكر الهيثمي - ط . مصر .

جامع الأصول من أحاديث الرسول - أبو السعادات مبارك بن محمد

بن الأثير الجزري - مطبعة السنة المحمدية - مصر .

جامع العلوم والحكم - عبد الرحمن بن رجب الحنبلي - ط . ثانية

مصطفى البابي الحلبي بمصر .

الجامع الصغير - جلال الدين السيوطي - المكتبة التجارية الكبرى -

مصر .

الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير - للجلال السيوطي -

ترتيب يوسف النبهاني - دار الكتب العربية الكبرى بمصر .

الأربعين النووية وشرحها - للنووي - « ضمن مجموعة الحديث » ط .  
الرياض .  
التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول - منصور على ناصيف -  
عيسى البابي الحلبي - مصر .  
عمدة القاري شرح صحيح البخاري - بدر الدين محمود العيني -  
ط . المنيرة .  
فتح الباري شرح صحيح البخاري احمد بن حجر العسقلاني -  
المطبعة الخيرية للخشاب - مصر .  
المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج - النووي - المطبعة الازهرية .  
فيض القدير شرح الجامع الصغير - محمد عبد الرؤوف المناوي -  
المكتبة التجارية الكبرى - مصر .  
النهاية في غريب الأثر - مبارك بن محمد الجزري بن الأثير - ط .  
عيسى البابي الحلبي - مصر .  
الشفاء للقاضي عياض - ط . مصر .  
شرح الشفاء - على القاري - المطبعة العثمانية ١٣١٦ هـ .  
الشئائل المحمدية - للترمذي - وشرحها - للبيجوري - المكتبة التجارية  
منهج النقد في علوم الحديث - دكتور نور الدين عتر - ط . دمشق  
السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي . دكتور مصطفى السباعي ط .  
دمشق .

## (ج) العقيدة وعلم الكلام :

أعلام النبوة - أبو الحسن علي بن محمد الماوردي - المطبعة البهية  
مصر .  
المواقف في علم الكلام - عبدالرحمن الأيمحي - مطبعة العلوم - مصر .



شرح المواقف - علي بن محمد الجرجاني - مطبعة السعادة - مصر .  
 تثبيت دلائل النبوة - القاضي عبد الجبار - دار العربية - بيروت .  
 الأربعين في اصول الدين - للفخر الرازي - ط . الهند .  
 لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية - محمد السفاريني -  
 مطبعة المنار - مصر .  
 النبوات - تقي الدين أحمد بن تيمية - المطبعة المنيرية - مصر .  
 العقد المنظم في اقسام الوحي المعظم - علوي عباس المالكى - ط .  
 مصر .  
 النبوة والأنبياء في ضوء القرآن - أبو الحسن الندوي - ط . القاهرة .  
 ايثار الحق على الخلق - ابن الوزير - مطبعة الآداب والمؤيد بالقاهرة .  
 مذكرات التوحيد للسنة الرابعة بكلية أصول الدين - محمود أبو  
 دقيقة - مطبعة العلوم .  
 النبأ العظيم - محمد عبد الله دراز - مطبعة السعادة - مصر .  
 الوحي المحمدي - محمد رشيد رضا - طبعة خامسة - محمد علي  
 صبيح وأولاده - مصر .  
 موقف العقل والعلم والعالم - مصطفى صبري - ط . مصر .

## (د) أصول الفقه :

فوائح الرحموت شرح مسلم الثبوت - عبد العلي الانصاري - الطبعة  
 الأولى - الاميرية - مصر .  
 التلويح على التوضيح - سعد الدين مسعود التفتازاني - طبع محمد  
 علي صبيح وأولاده .  
 تسهيل الوصول الى علم الاصول - محمد عبد الرحمن محلاوي - ط .  
 مصر .

أصول الفقه - محمد الخضري - طبعة رابعة المكتبة التجارية الكبرى  
بمصر .  
أمالى أصول الفقه - لطلاب السنة الرابعة بكلية الشريعة بدمشق -  
أحمد فهمي أبو سنة .

### ( هـ ) السيرة والتراجم :

تاريخ الرسل والملوك - لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - ط . دار  
المعارف - مصر .  
الطبقات الكبرى - محمد بن سعد - ط . بيروت ١٩٦٠ .  
سيرة ابن هشام - تحقيق محي الدين عبد الحميد - ط . مصر .  
الروض الأنف - عبدالرحمن السهيلي - المطبعة الجمالية - مصر .  
عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير - لابن سيد الناس - ط .  
دار المعرفة بيروت .  
شرح المواهب اللدنية - للزرقاني - المطبعة الأزهرية - مصر .  
قصص الأنبياء - عبدالوهاب نجار - ط . القاهرة سنة ١٩٦٦ .

### ( و ) علوم اللغة العربية وآدابها :

لسان العرب - محمد بن منظور الأفريقي المصري - الطبعة الأميرية .  
القاموس المحيط - محمد بن يعقوب الفيروزآبادي - الطبعة الأميرية  
الثالثة .  
تاج العروس من جواهر القاموس - محمد بن مرتضى الزبيدي - ط .  
مصر .

### ( ز ) موضوعات متنوعة :

الظاهرة القرآنية - مالك بن نبي - ط . مصر .

- تاريخ الحضارة الإسلامية - جاد محمد رمضان - ط . مصر .  
 أجنحة المكر الثلاثة - عبدالرحمن حبيكة الميداني - ط . دمشق .  
 الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم - د . مصطفى السباعي .  
 التبشير والاستعمار - د . عمر فروخ ومحمد الخالدي - ط . لبنان .  
 محمد رسول الله - ايتين دينيه « تعريب وتقديم دكتور عبدالحليم محمود » ط . مصر .  
 دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة - موريس بوكاي -  
 « معرب » ط . مصر .  
 شمس العرب تسطع على الغرب - زيفريد هونكه « معرب » ط .  
 لبنان .  
 محمد رسول الهدى والرحمة - مقال من كتاب الأبطال ، توماس  
 كارليل « معرب » .  
 حياة محمد - محمد حسين هيكل - ط . سادسة - ط . مصر .  
 محمد رسول الحرية سلسلة كتاب الهلال - ط . مصر .  
 مذاهب التفسير الاسلامي - اجناس جولد تسهر « معرب » ط .  
 مصر .  
 العقيدة والشرعة - اجناس جولد تسهر « معرب » ط . مصر .

Muhammad at Mecca, W. Montgomery Watt, Oxford,  
 1953.

ملاحظة : ذكرت في الهامش الطبعة المغايرة لما ورد في هذا الثبت  
 لدى الرجوع اليها .

## مسرد الأبحاث

الموضوع	صفحة
المقدمة .....	٧
<b>الباب الأول</b>	
نشأة الاستشراق وأهدافه .....	١١
نشأة الاستشراق .....	١٣
دوافع الاستشراق .....	١٨
الدافع الديني .....	١٨
الدافع الاستعماري .....	٢٠
الدافع السياسي ، الاقتصادي .....	٢١
الدافع العلمي .....	٢٢
أوجه النشاط الاستشراقي .....	٢٤
مؤازرة المشرّين في تحريضهم .....	٢٤
تأليف الكتب وإصدار المجلات في العلوم الإسلامية والمسائل الشرقية .....	٢٤
موسوعات إسلامية مسمومة - مؤتمرات استشراقية خاصة .....	٢٥
كليات وأقسام للدراسات الإسلامية في الغرب .....	٢٥
خطة الاستشراق: .....	٢٦
إحداث جلبة عالية ضد الاسلام والمسلمين .....	٢٦
التركيز على الطعن في الكتاب والسنة والسيره .....	٢٧
إثارة الافكار والنعرات الممزقة لوحدة المسلمين .....	٢٨

الموضوع	صفحة
اختلال مناهج البحث الاستشراقي	٢٩
اطلاق شعار الحياد العلمي دون العمل به اطلاقا	٣٠
تحريف النصوص وبتراها	٣٠
إغفال الحقائق التي تنسف تقولاتهم	٣١
المغالطة في دلالات النصوص	٣١
متابعة المشركين . وخطبة اليهود والنصارى في تقولاتهم	٣١
الاعتماد على مصادر غير علمية	٣٢
أهداف الاستشراق:	٣٢
منع انتشار الاسلام في أوروبا وغيرها	٣٢
صرف المسلمين عن دينهم	٣٣
اقتباس أفكار ايمانية لثبيت الكنيسة	٣٣
خدمة الأغراض الاستعمارية	٣٤
جعل دراساتهم مصادر لتعليم المسلمين اسلامهم !!	٣٥
تخطيط الوحدة الفكرية للمسلمين	٣٧
تمزيق الوحدة اللغوية للمسلمين	٣٨
إضعاف الشخصية الاسلامية	٤٠
التنفير من الخلافة الاسلامية	٤٢
تخطيط معنويات الشخصية الاسلامية	٤٣

### الباب الثاني

وحي الله الى رسوله	٤٥
الفصل الأول :	
سمات الوحي وحقائقه	٤٥
افتقار البشرية إلى وحي الله ورسالاته	٤٧

٤٩	المراد بالوحي في اللغة والشرع
٥١	معتزك الأفكار في اثبات الوحي
٥٤	حقائق الوحي
٦١	معاناة الرسول شدة أثناء تنزل الوحي

### الفصل الثاني :

٦٣	خصائص الوحي :
٦٥	الوحي حدث مفاجئ
٦٦	الوحي حدث إلزامي
٦٧	الوحي مستقل عن ذات النبي و ارادته
٧١	حصول الوحي وفق الاصطفاء الالهي
٧٥	قوة يقين النبي بالوحي
٧٦	معارف الوحي فوق مطامح الذات الانسانية وإمكانها
٧٩	أخبار الغيب في القرآن والسنة

### الفصل الثالث :

٨٣	نقص مزاعم المستشرقين في الوحي
٨٥	يقين ورقة بنوة محمد صلى الله عليه وسلم
٨٦	وثائق هذا اليقين
٨٨	الجمع بين روايات الحديث والسيرة
٨٩	طريقة ورقة في اعلان يقينه
٩١	الرد على نقولات المستشرقين
٩١	النصوص تني أي صلة سابقة بين ورقة ومحمد ﷺ
٩٣	موقف ورقة يدل على ربانية الوحي الى رسول الله
٩٣	موقف قريش يثبت عزلة محمد ﷺ عن ورقة

- ٩٤ ..... اسلام ورقة ووفاته من دلائل وحي الله الى رسوله ....
- ٩٩ ..... الكذب على سيرة رسول الله من منهج المستشرقين .....
- ١٠١ ..... خدمتهم ضلالات الكنيسة بالاختلاق على الرسول زوراً وبهتاناً .....
- ..... منهجهم في ترك مصادمة مشاعر المسلمين وفي التزام
- ١٠٢ ..... الاحتمالات الوهمية .....
- ١٠٤ ..... الحقائق التاريخية تفصح تحركات المستشرقين بشأن ورقة
- ١٠٦ ..... رحلتان الى الشام يسيرتان .....
- ١٠٩ ..... تقولات المستشرقين عن رحلات وهمية الى الشام .....
- ١١١ ..... زيف زعمهم ترحال النبي ﷺ الى الشام بعد الزواج .
- ١١٨ ..... قصص الأنبياء وحي الهي خالص .....
- ١٢٠ ..... تناقض المستشرق وارساله التهمة حزافاً .....
- ١٢٠ ..... جهل ومغالطة في استدلال المستشرق بقصص الأنبياء ..
- ١٢٤ ..... دس اعتقادي وتهرب من سطوة البراهين القاطعة .....
- ١٢٧ ..... حيرة القارئ بين جهل المستشرق وتحامله .....
- ١٣١ ..... أساس هذه المناقشة .....
- ..... أفؤمنون ببعض الكتاب ؟ جبريل هو ملك الوحي بالقرآن الى
- ١٣٣ ..... رسول الله ﷺ .....
- ١٣٨ ..... هيمنة الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم .....
- ١٣٩ ..... خصائص الوحي تلزم بالايان بريانيته .....
- ..... تجاهل المستشرق أن مزاعمه تطعن في اعتقاده بالوحي إلى موسى
- ١٤١ ..... وعيسى أيضاً .....

الموضوع	صفحة
إعراض المستشرق عن وثائق الوحي الثابتة .....	١٤٢
من خطتهم في تضليل الناس : التنفير من علماء الاسلام .....	١٤٥
زعمهم أن القرآن من إلهام الرسول الذاتي .....	١٤٧
صحة نفسية وعصبية وافرة مدى العمر .....	١٤٩
الجنون والعبقرية لا يجتمعان .....	١٥١
مشاركة دعوى المستشرقين دعوى المشركين في الوحي النفسي .....	١٥٣
الخاتمة :	

توصيات ومقترحات : .....	١٥٩
المسالك الهامة في الرد على المستشرقين .....	١٥٩
جعل الغرب في موقف الدفاع لا الهجوم .....	١٥٩
دعم المستشرقين الصالحين .....	١٦٠
بعثات ودورات .....	١٦٠
الترجمات المطلوبة .....	١٦١
مطالب أساسية - في نظرنا - في كتاب السيرة المعاصر .....	١٦١
ثبت المراجع .....	١٦٥
مسرد الأبحاث .....	١٧١





## حياة المؤلف

• حسن ضياء الدين محمد عتر  
• تلقى العلم من أفاضل علماء سوريا  
ومصر.

• تخرج من كلية الشريعة بجامعة دمشق ،  
ثم نال درجة الدكتوراه في تفسير القرآن  
العظيم بمدرسة الشرف الأولى من كلية أصول  
الدين بجامعة الأزهر سنة ١٩٧١ ونال  
شهادات جامعية أخرى .

• اشترك في اعداد مناهج التربية  
الإسلامية لجميع المراحل في وزارة التربية  
السورية ، ثم في اعداد المناهج الجامعية  
لتفسير القرآن العظيم وعلومه .  
• صدر من مؤلفاته :

- نبوة محمد ﷺ في القرآن

- بينات المعجزة الخالدة

- أبحاث علمية متخصصة في مجالات كلية  
الشريعة ومركز البحث العلمي ورابطة العالم  
الإسلامي بمكة المكرمة ، وفي مجلة كلية  
أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود  
الإسلامية بالرياض .

• سيصدر قريباً من تأليفه :

- الأحرف السبعة في القرآن العظيم .

ومن تحقيقه : مؤلفات لبعض أئمة  
السلف الصالح رضي الله عنهم .  
أجزل الله له الثواب ولجميع العاملين .

